

RI

2272
• 6119
• 366

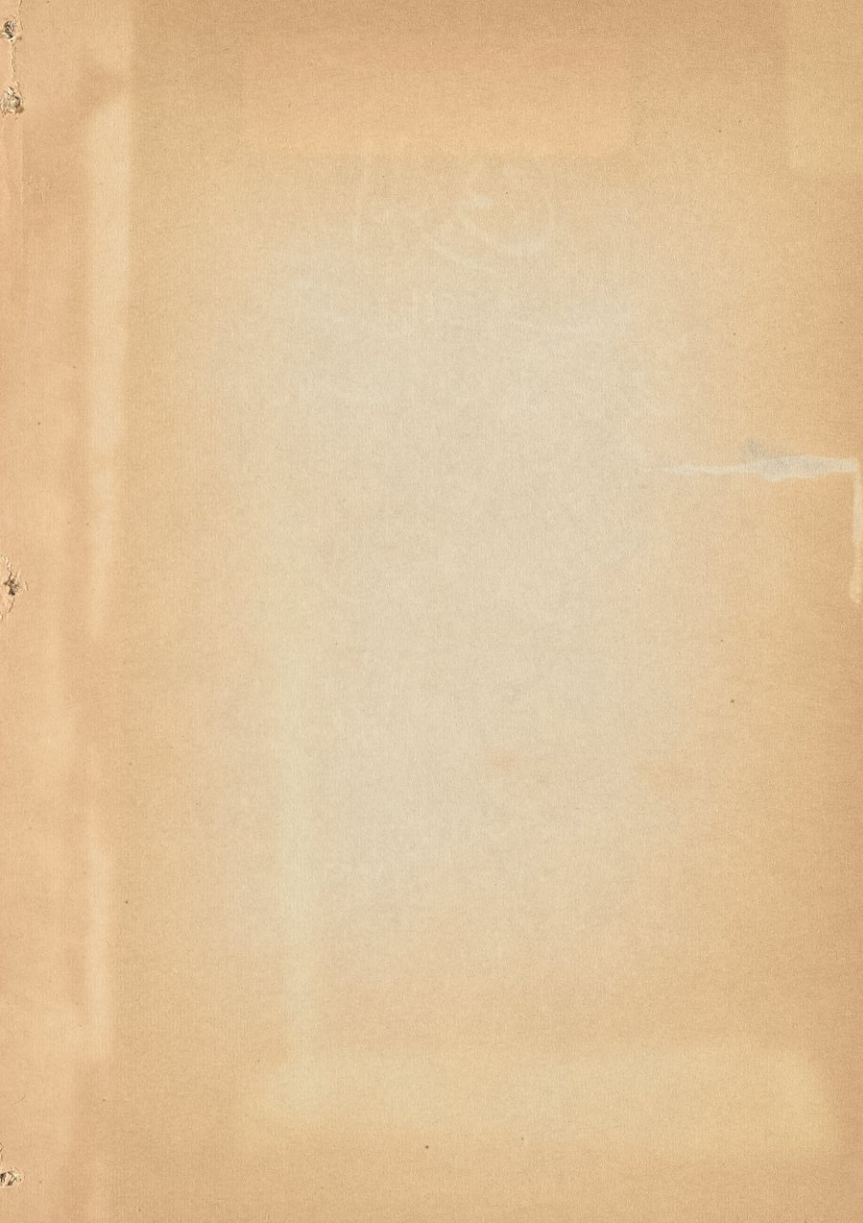
2272.6119.366
Maltawi
al-Marabbi

[illegible]

Princeton University Library



32101 072565383



المُرُحِي

تمهيد في التصوف
وأثر الأستاذ الكامل في تربية الروح

بقلم

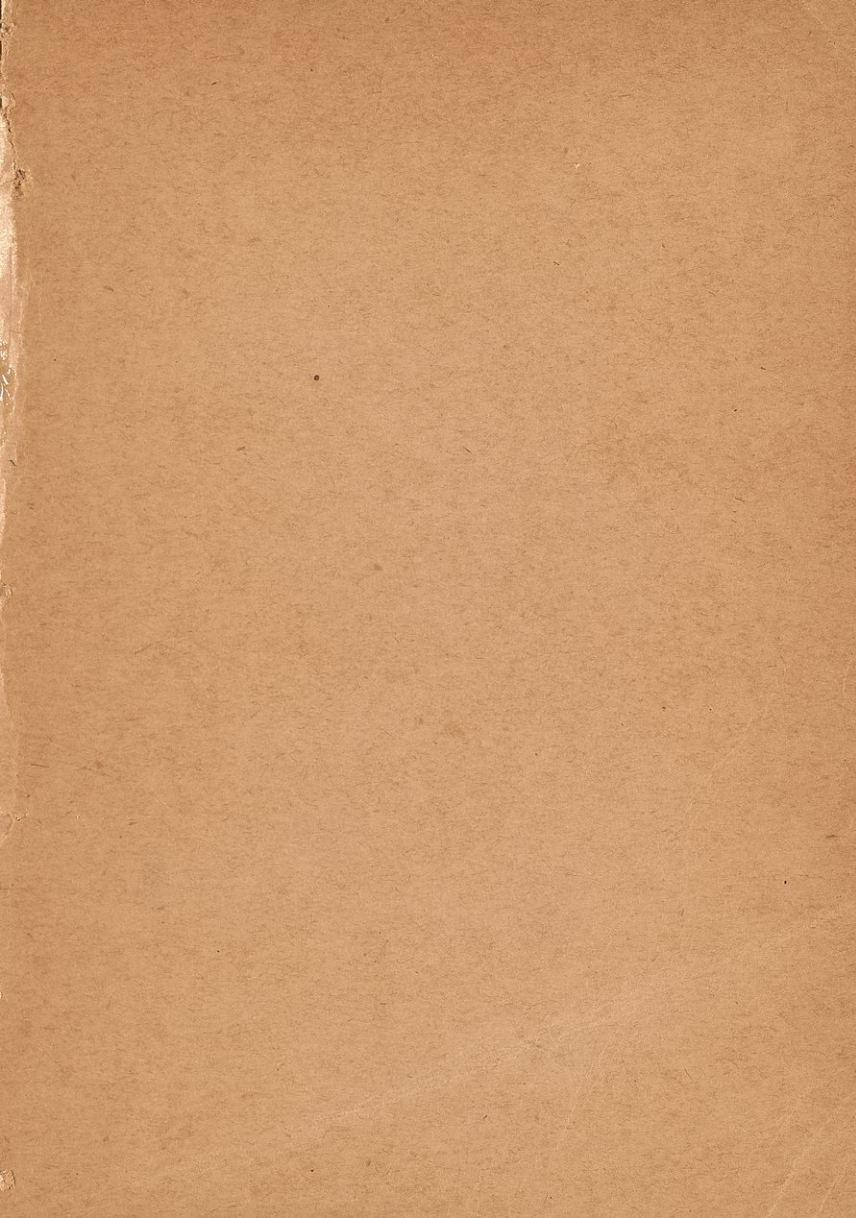
حميد كامل اللطفي

مراقب الاستيراد — وزارة المالية

الطبعة الأولى

١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

مكتبة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر



al-Maltānī Ḥasan Kāmil

al-Murabbī

المُرَبِّي

تمهيد في التصوف
وأثر الأستاذ الكامل في تربية الروح

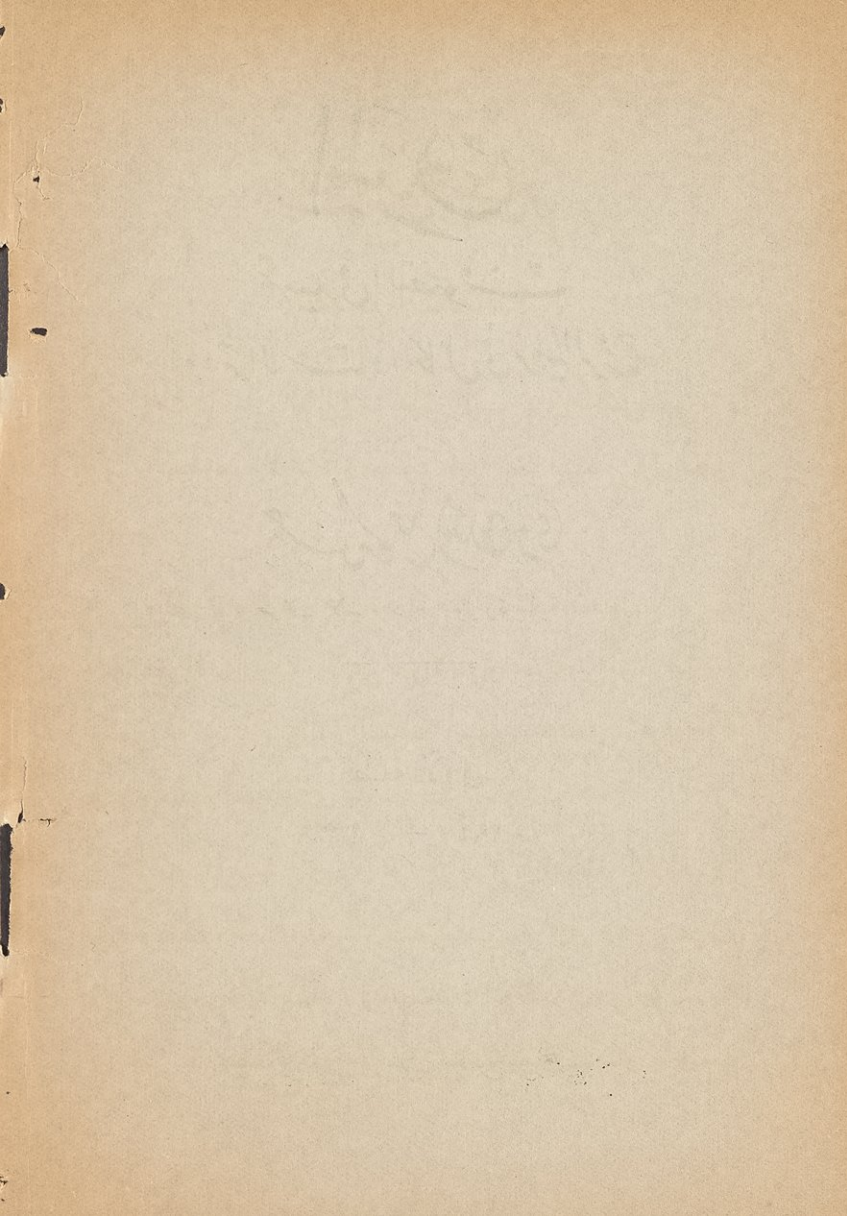
محمد كامل اللطفي

مراقب الاستيراد — وزارة المالية

الطبعة الأولى

١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان في أحسن تقويم ،
وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، جلّ المنعم المتفضل في الأولى
والآخرة .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله المصطفى ، وإمام
أمة أهل الهدى والمثل الأعلى ، والأسوة الحسنة لمن أراد الآخرة
وسعى لها سعيها ، واتبع الصراط السوي واهتدى ، وعلى آله
وصحبه صفوة أهل الهدى ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فمن يوم أن يولد الإنسان في هذه الحياة وهو في
حركة دائبة وجسمه يتحرك ودمه ينبض سواء في نومه وصحوه ،
وروحه في حركة لا تسكن ، في الصحو دائبة التفكير وفي النوم تسبح
في خيال لا ينقطع ، ومنح الإنسان مملوء بالسؤال الفكري والحديث

2272

6119

366

2272

61123

366

النفسانى ، لا يفيق منه إلا إذا صار جثة هامدة ، فالحركة الفكرية
ديدن كل حى من بنى الإنسان .

ومن هذا الشعور يتربى الوجدان الذى يتميز به الإنسان عن
سائر الحيوان ، والوجدان القوى له تأثير كبير فى الناس وشئ
الموجودات فى الخير وفى الشر بمقدار ما فيه من قوة وحيوية ،
لذلك أرى أن الإنسان ابن شعوره ووجدانه .

والشعور يحصل مما يحيط بالإنسان من مرئيات الحياة
وحاجاتها ، ثم يستعين الإنسان بالتفكير ليصل إلى غايته ، وتترى
عاطفته طبقاً للرغبات الطيبة أو الأهواء النفسية ، وعند كل رغبة
تكثر الخواطر ويشدد التفكير ، وهذه الخواطر إما أن يكون
مصدرها إلهاماً من الله لبيان الصواب كما قال تعالى « هُوَ الَّذِي
يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَأُكُمْ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ »
أو يكون مصدرها الشيطان لتبرير غايات النفس ، والقلب يصدق
هذا أو يكذبه ، وحسبه أن يكتسب عمله مما يملئ من إرادته ،
ومن ذلك تتربى العاطفة الخلقية فإما إلى سموٍ وترقٍ ، وإما إلى

رذيلة وانحطاط من لحظة إلى أخرى ، والروح ترقى أو تنحط تبعاً
لسمو العاطفة أو انحطاطها .

لذلك نرى منح الإنسان يغلب بالأفكار والخواطر ولا يستقر
على حال ، ومن راقب أفكاره حتى يصفىها من خواطر السوء فهو
الرجل الكامل ، ومن تركها تتخبط في حبال الشيطان وأحاديث
النفس والشهوات فهو الرجل الناقص ، ولا يتميز الإنسان عن
غيره من بنى جنسه إلا بسلامة التفكير وسمو العاطفة .

لذلك يجب على المرء أن يتيقظ لأفكاره وينظمها ولا يسمح
لنفسه بأى تفكير ناقص ليسلم من النقص ، ومن باب أولى
لا يجارى النفس فى حديث الشهوات ولا فى خواطر السوء لئلا
يضيع السيل الفكرى فى هوى الرذيلة مع أنه مطالب أن يسير
معه إلى سمو الملائع العلى الذى تهبط روحه منه ؛ قال الله سبحانه
وتعالى «إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»
ليصير المرء أخلاقياً ذا روح ملكية ، والله در البوصيرى حين
يمدح سيد المرسلين بقوله :

كرهت نفسه فلا يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء

والخواطر والأفكار تنساب في رُوع الإنسان وفؤاده انسياباً وتنصبُّ انصباباً، والقلب يفرزها ويأخذ منها ما يريد؛ فإن تركها الإنسان بلا مراقبة ولا تدبر أصبح كزُبَّان السفينة الذي تاه في عباب البحر وهام على وجهه على غير هدى حتى يغرق.

وقد تهجم الأفكار والخواطر على الإنسان هجوماً شديداً وتغذيها رغبات النفس وأحاديث الشيطان، ويدافعها ولكن إرادته تخور أمامها ويُتبع نفسه هواها، عند ذلك تفسد ملكة وجدانه، وتسوء عاطفته نحو الخير، ويتعثّر في أذيال الخيبة، ويقوى شيطانه عليه حتى يصير بلا إرادة، ويبوء بالخيبة في الحياتين، ويصبح صدره ضيقاً حرجاً ولا يتمكن من السيطرة على شعوره ولا تنظيم أفكاره، كما لا يستطيع السير إلى وجهة صالحة.

ولا يبلغ الإنسان قوة السيطرة على الفكر والخواطر وخلاص الوجدان بالتمني، فكم يتمنى صاحب الخواطر السيئة الخفيفة أن لا تهجم عليه فيأرق منها الليالي، وكم يتمنى أن ينام ويستريح

ولكنه يبيت يتقلب فيها على فراشه فلا يجد منها فكاكا ،
فيستغيث بالطبيب فلا يعمله إلا بمخدر يحول بينه وبين شعوره ثم
يفيق بعد ذلك فلا يجد إلا زيادة في سقم الجسد وكآبة النفس
وانحطاط الوجدان إلى حالٍ أسوأ من الأولى .

والدواء الناجع هو الإيمان بالله والتعرف إليه والتوكل عليه
حتى يعافيه ببرد الرضا ونور اليقين والاطمئنان إلى حسن المصير
الذي يتمناه كل حي كتب عليه الموت . وهذا لا يخالط القلب دفعة
واحدة ، ولا يتم له كماله إلا بالترية والترويض ، ولن تتربى فيه هذه
الملكة إلا بذكر الله سبحانه وتعالى ذكراً كثيراً ، ومناجاته جل
شأنه في السر والجهر حتى يستقيم الفكر ويهدأ السر ، ومن ذلك
تقوى ملكة مراقبة الله سبحانه وتعالى ويتعود المرء المحافظة على
أوامره واجتناب نواهيه ، والاطمئنان إلى حسن وعده وبلاغ
رسله ، وبذلك تقوى إرادته وتصفو أفكاره ويهيمن على خواطره
ويرقى وجدانه ، ويكون شعوره ملكياً وضميريه حياً ، وإلا عاد
صدره ضيقاً ، وتفكيره سقيماً ، وشعوره مخبولاً ، لذلك يقول الله

سبحانه وتعالى : « وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » وقال سبحانه وتعالى : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى »
 لذلك استعان أهل التصوف على تربية ملكاتهم بكثرة الذكر،
 وراقبوا خواطرهم مراقبة شديدة وحاسبوا أنفسهم على كل خاطر
 حتى لا يعلق بالقلب إرادة من خواطر السوء، وروّضوا أنفسهم على
 الطاعة وملازمة الصحبة الصالحة ، وحددوا أهدافهم في محبة
 خالقهم والوصول إلى رضاه وجعلوا جلّ أمانهم أن يفوزوا
 بالقربى عند لقاءه مادام مصيرهم إلى حياة غير هذه الحياة ورجوع
 إلى الله « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا
 فَمُلاقِيهِ » .

وأيقنوا بقوله تعالى : « وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ
 كَانُوا يَعْلَمُونَ » فأخذوا إلى الحقائق وعافوا الضلال ودار الغرور
 وتركوا المظاهر الخادعة إلى الحقائق الثابتة فارتقوا إلى صفات
 الملائكة وبلغ الكثير منهم مرتبة الضمير الحي والنفس المطمئنة ،

واستلذوا بمجالسة الله ومناجاته إذ يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » فتعلقوا بحب هذا الشرف السامي ، وأى شرف أعلى من أن يتشرف الإنسان بمجالسة خالقه ملك الملوك وجبار السموات والأرض ؟.

ولذلك تجنبوا مجالسة السفهاء « وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا . وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » وقد بلغ ببعضهم أن استوحش من الناس أجمعين واكتفى بأنسه رب العالمين « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ » وإذا خلا العبد بربه أفاض الله على قلبه من حنانه وعلمه علما ينسيه هموم الدنيا والآخرة ، وجعله سعيداً تعيش روحه في الملا الأعلى لا يشعر بالناس ولا يحتاج إليهم وهم عنه لاهون .

لذلك أعتقد أن الصوفي الصادق أسعد أهل زمانه ، « وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ».

وأحمد الله سبحانه وتعالى أن أنعم على بميلاد في بيت من بيوت التصوف ، فكان لي شرف الانتساب إليهم ولو لم أكن

أهلاً للانضواء تحت لوائهم ، وكم حاولت أن أصفى نفسى من أدرانها فلم أبلغ ما ينبغى من الصفات الطيبة والخلق الصالح ، لأفوز بصدق صحبتهم ، ولكن آمل فى الله سبحانه وتعالى أن يعلمنى من أخلاقهم ، ويرزقنى الصلاح ببركة صحبتهم على الصدق ، فإن صاحبهم لا يخيب ، ومن لازمهم لا يضيع بمن الله وكرمه .

وإن من هؤلاء المتصوفة الخالص من صحبتهم فى طريق الحق والأخوة فى الله الأخ الوفى الأستاذ [حسن كامل الملطوى] الذى كتب هذا الكتاب الجليل مختصراً فى التصوف وسيرة أستاذه يرجو به وجه الله سبحانه وتعالى وليدل به إخوانه على هذا المنهل العذب فى اختصار ودقة . وقد طلب منى أن أكتب مقدمة فزادنى شرفاً بذلك ، ولكن قبل أن أقدم كتابه أرجو منه أن يسمح لى بتقديمه كما أعرفه وهو أشهر من التعريف عند عارفى فضله ليعرف من يقرأ هذا الكتاب كيف كتبه وأى حافز حفزه إلى كتابته .

فالأستاذ حسن كامل الملطوى : ذو بركة ونور ، من عائلة

عريقة تسكن ملطية من أعمال مغاغة مديرية المنيا غنية عن التعريف، ترعرع في هذا البيت الكريم، فلم يسكن من صغره إلى اللهو كأولاد الأعيان بل كان ذكياً موهوباً مراداً من الله ليسير إليه راضياً، فعاف كل شيء إلا التعليم، فأرسله والده إلى المدارس الأميرية فكان أنجب مدرسته في التعليم الابتدائي والثانوي والعالى إلى أن حصل على بكالوريوس التجارة ، ولم يركن إلى ما حصل عليه من العلم ، بل ظل يوالى القراءة والتعليم حتى بعد توظيفه إلى أن حصل على ثقافة عالية دنيوية وأخروية لم تتوافر للكثير ممن تعلموا في داخل البلاد وخارجها ، وقد شهد له بتفوقه أعلام الاقتصاد حتى أفاد بذلك أمته في جميع ما تولاه من المناصب .

وفي اعتقادي أن ما أعانه على بلوغ هذه المرتبة من الثقافة ورجاحة العقل وحسن التفكير وقوة التدبير والأمانة فيما يوكل إليه والصبر على الدراسة والطاعة إلاّ توجهه إلى الله سبحانه وتعالى ، وملازمته للصحبة الصالحة من أول أمره ، إذ انساق إليها بتوفيق الله سبحانه وتعالى فنال بذلك أيضاً ملكةً رحمانية وثقافةً دينيةً

عالية ، حتى يخیل إلى من یقرأ له أو یستمع إليه ، أنه درس علوم الدین وتفرغ إليها لم یَتفرغ لسواها ، ولقد قال لی مرة عالم کبیر ممن کانوا یستمعون إليه : لا إخال هذا إلا أزهریا حادّ الذکاء قوی الفطنة ، فما الذی جعله یتّرك الأزهر ویشتغل بوزارة المال ؟ فما أن أخبرته بخبره حتى صار فی حيرة ودهشة وما عثم أن قال : هذا فضل الله یؤتیهِ من یشاء . فقلت له یاسیدی قال الله سبحانه وتعالى « وَاتَّقُوا اللَّهَ وَیَعْلَمْ کُمُ اللَّهُ » وكان العلم على عهد رسول الله ینصبّ فی القلوب والأفئدة من لدن الله بنظرة من رسول الله ؛ إذ کان یأتی الأعرابی من البادية فما أن یؤمن وینظر إليه الرسول صلی الله علیه وسلم حتى یصیر الأعرابی حکیما متفقها فی دینه ، والذا کر یجالس الله فکیف یكون جلیس الرحمن جهولا ؟ بل یفتح الله علیه من العلوم ما یتستعین به فی تصحیح دینه وتقویم أمور دنیاه ، وهو الذی ألهم الخلفاء الراشدين تدبیر أمور المسلمین فی الحرب والسلم وسياسة الناس ، حتى ظل عملهم علما یتدارسه الناس والأُمم جیلا بعد جیل .

وقد أخذ الأستاذ (حسن) العهد عن والدى فصاحبه بالأدب الجمِّ
وحسن الطاعة وإخلاص الطوية والحرص على حسن الاقتداء ،
وكان والدى يُنزله من نفسه منزلة الأبرار ، ومكان الصفوة الأولى
من أحبابه الذين يجلبهم ويحبهم حبا جما يفوق حبه أهل قرابته ،
وليس لدى هؤلاء القوم قرابة أسمى من الحب فى الله ، والتعاطف
والتراحم فى سبيل الله وقد شهدله بالأخلاق الكاملة والتخلق بأداب
القوم والشرب من شرابهم ، لذلك كان من وفائه لأستاذه أن كتب
هذا الكتاب موجزا حتى كاد يبلغ حدَّ الإعجاز فى بيان طريق
القوم ، وأنه من واجب المسلم التحرى عنهم ومتابعة أهل الصدق
منهم ، وهو إن تكلم فإنما يتكلم عن ذوق وإيمان بما يقول ،
صافى الوجدان ؛ لذلك جاء كتابه كتاب وفاء ودين وأدب ،
وما ذلك بكثير على من تخلق بأخلاقه وتهيا له ما تهيا لكتابته ،
والجوهر النفيس لا يحتاج إلى ترغيب فيه ، فقد فضح الباطل ونصر
الحق ، وأخلص النصيحة ، وقرب الطريق لمن أراد اتباع السبيل
السوى ، وأوفى فى كتاب الوفاء كتابه هذا ، بذلك أدعه للقارىء

يحكم له أو عليه ، فليس بمستطيع صاحب حق أن يحكم عليه
أو لا يستين الرشد فيه ، فجزاه الله عن المساهين خير الجزاء ، ونفع به
العباد ، إنه سميع مجيب ؟

أحمد عبد المنعم عبد السلام
الخالاني

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله وأستعينه وأستهديه لى ولإخوانى المسلمين ، وأصلى
وأسلم على من جاءنا بالهدى ودين الحق ، سيدنا ومولانا محمد
رسول الله الأمين ، الذى أرسله ربه رحمة للعالمين ، وجعله إمام
الأولين والآخرين .

ثم أسترضى الله تعالى عن سادتنا الصحابة الكرام
ومن حذا حذوهم من الصالحين على ممر الأيام ، أولئك الذين كانت
قلوبهم متعلقة بالله مستنيرة بنور الهدى فى كل آن ، فنجوا
بنورها من خوض غمرات الدنيا ، ورضوا بالدار الآخرة وهى
خير وأبقى للذين يتقون .

وبعد : فقد ارتضى الله الإسلام ديناً لعباده ، وأيده بالقرآن العظيم وجعله معجزة باقية أبد الدهر ، إذ لم يكن الإسلام دين إقليم واحد أو شعب واحد كغيره من الأديان التي سبقتة ، بل هو الدين الذى اصطفاه الله للناس كافة إلى يوم القيامة .

وقد اقتضت حكمة الله لبقاء كلمة الإسلام وفضائله قائمة كما ينطق بها القرآن الكريم والسنة المطهرة أن يكون لها جنود من جنود الله فى الأرض يحفظون حدودها ويرفعون لواءها عاليا مهما اشتدت الفتن أو توالى على الإسلام والمسلمين الأحداث . ومن أجل هؤلاء الجنود قدرا سادتنا الصوفية فقد زكوا أنفسهم لله بالعلم الصحيح والعمل الصالح وخلصوها من أدران العادات والمعتقدات الفاسدة المغايرة للدين الخالص ، وصانوا بذلك الفضائل الإسلامية غضة كما توارثوها عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم ، فتخلقوا علما وعملا بأخلاقهم الحميدة القويمة ودعوا الناس إليها ولم يفتنوا بالحياة الدنيا وزينتها بل سعوا للآخرة سعيها وهم مؤمنون فكان سعيهم مشكورا .

وقد جهل بعض الناس رسالة الصوفية فعابوهم وأنكروا عليهم
مسلكهم ظلما وزورا أو جهلا وغرورا - ولا عجب فالناس أعداء
ما جهلوا - فمن قائل إن الصوفية بدعة لا أصل لها في الدين ،
ومن قائل إن الصوفية قوم كسالى متواكلون ، ومن قائل إنهم غلاة
متشددون وكل هذا بعيد عن الصواب . وسأحاول إن شاء الله
أن أبين في هذه الرسالة على قصرها شيئا من فضل هؤلاء السادة
الأمثال ، ولعلى أبلغ من ذلك المراد من إعطاء الناشئة الإسلامية
فكرة صحيحة عن الصوفية وما تدعو إليه وما تؤديه للإسلام
من خدمات في تربية القلوب وإصلاح الأرواح .

وسأندرج من كلامي عن الصوفية إلى ترجمة لأستاذي
الجليل العارف بالله سيدى :

عبد السلام الحلواني

ذلك الولي الصوفي الذي كان كوكبا مضيئا للسالكين
في عصرنا الحاضر . ولعلى في تلك الترجمة أقوم له رضى الله عنه

يبعض الوفاء وإن كان دينه في عنقنا متعذر الأداء ، وقد جاء
في نصيحة بعض الحكماء :

أطلق لسانك بالثناء على الذي أولاك حسن رغائب وغرائب
واشكره شكر الروض حياه الحيا كما تقوم له ببعض الواجب
وأرجو ألا تخلو رسالتى هذه من بعض الفائدة لكل
من طالعها من إخوانى المسلمين عامة والمتصوفة خاصة ، وأستغفر
الله لى ولهم ، وأسأله تعالى أن يهدينا بهداه حتى لانضل عن
سواء السبيل ؟

من طمل المطاوى

(١) ما معنى الصوفية ومتى وكيف نشأت ؟

جاء في مقدمة العلامة ابن خلدون : الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وقد كان ذلك فاشيا في الصحابة والسلف ، ولما عم الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم « الصوفية » و « المتصوفة » .

وجاء في الرسالة القشيرية ما خلاصته : عُرِف السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار « بالصحابة » وعرف أهل العصر الثاني الذين أدركوا الصحابة « بالتابعين » وعرف أهل العصر الثالث الذين أدركوا التابعين « بتابعي التابعين » وهؤلاء جميعا هم خير القرون . ثم قيل لخواص المؤمنين ممن لهم

شدة عناية بأمر الدين « الزهاد والعباد » ثم ظهرت البدع نتيجة لاتساع الفتوحات واختلاط العرب بالعجم فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى باسم التصوف واختصوا بهذا الاسم قبل المائتين من الهجرة .

وقال القطب الشعراني : التصوف عبارة عن علم انقح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة كما انقح لعلماء الشريعة حين عملوا بما علموه من الأحكام .

ومن ذلك ترى أن الصوفية إن هي إلا إحياء لنهج السابقين الأولين من خواص المؤمنين الذين كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ويحذرون الآخرة ويرجون رحمة الله ، وقد شهد القرآن الكريم بفضل هؤلاء في آيات كثيرة مثل قوله تعالى : « فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ، لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ «
 وقوله : « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
 فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ
 بإذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ » وقوله : « إِنَّ الْمُتَّقِينَ
 فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ
 ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِالْأَسْحَارِ
 هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ، وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ . »

وهؤلاء المتقون هم عنوان الفضل وفخر الإسلام ، وهم القدوة
 الصالحة في دعوة المؤمنين إلى الخير بالموعظة الحسنة من أفعالهم
 وجهاد أنفسهم ، وهم مع ذلك لا يُعَدَمُونَ الْحِكْمَ البالغة فإن
 ينابيعها تنفجر في قلوبهم ويجريها الله سحرا حلالا على ألسنتهم
 وتشهد لذلك الأقوال الماثورة عنهم وستجدون بعضها فيما يأتي .

وهذه الطائفة المباركة هي التي يعينها الحديث الشريف
 المروى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ

مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ
حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ .

ولا عجب أن تختص الأمة الحمديّة بمثل هذا الفضل وهى
التي يخاطبها الله جل شأنه بقوله الكريم : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ » ويطلب إليها أن تتفرغ جماعة منها للدعوة إلى الخير فى قوله
الكريم : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

(٢) مم اشتق اسم الصوفية؟

يقال رجل صوفى ، وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك
بالاكتساب والتشبه بهم يقال له متصوف ، وللجماعة متصوفة .
وقال بعضهم : التصوف من الصوف ، وتصوف إذا لبس
الصوف ، كما يقال تقمص إذا لبس التميمى ، وذلك على اعتبار أن

القوم زهدوا ولبسوا الصوف في الغالب ، ونسب البعض القوم إلى الصُّفَّة التي كانت في مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يجلس تحتها فقراء الصحابة وضعافهم الذين انقطعوا للعبادة ، ونسبهم آخرون إلى الصف لأنهم في الصف الأول بقلوبهم مع الله ، وقال قائلون إنهم منسوبون إلى الصفاء الذي هو ميزة القوم على حد قول القائل :

تنازع الناسُ في الصوفي واختلفوا

قَدَمًا وظنوه مشتقًا من الصوف

ولَسْتُ أَنُحِلَ هَذَا الاسمَ غيرَ فتي

صافي فَصُوفِي حتى سُمِّي الصوفي

والأظهر في اسم « الصوفية » أنه كالقلب إذ لا يشهد له

قياس من حيث العربية .

(٣) ما هي غاية الصوفية ؟

يهدف الصوفية إلى تزكية النفوس ، وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الإسلامية الصحيحة ، والحجة الخالصة لله

والاشتغال به عما سواه لنيل السعادة الأبدية كما تدل على ذلك أقوالهم ، فقد وصف الإمام أبو محمد الجريدي التصوف بقوله : هو الدخول في كل خلق سنيّ والخروج من كل خلقٍ ذنيّ . ووصفه الإمام أبو القاسم الجنيد فقال : التصوف هو أن يمتك الحق عنك ويُحييكَ به . ووصفه الإمام رويم بقوله : التصوف هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد . وقال الإمام الحراز : حقيقة القرب فقد حس الأشياء من القلب وهدوّ الضمير إلى الله تعالى .

٤) ماهي قواعد التصوف ؟

يقوم التصوف على قواعد خمس هي :

أولاً — محاسبة النفس وصفائها :

جاء في وصف المتقين في القرآن «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهَ» ولا يتأتى هذا الشعور إلا من محاسبة النفس
 واستشعار خطئها، وقد جاء في الحديث النبوى الشريف «حَاسِبُوا
 أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكُمْ» .
 وفى هذا المقام أسوق حادثة طريفة وقعت فى أيام أمير المؤمنين
 العادل الرشيد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهى: أنه اختار
 بحسن فراسته فى الرجال إماما على جماعة، فاشتكت الجماعة
 هذا الإمام إلى أمير المؤمنين بحجة أنه يصلى ثم يغنى بعدها فاستغرب
 أمير المؤمنين الأمر وسأل الإمام أحقا ما يقولون من أنك تصلى
 ثم تغنى؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، قال ماذا تغنى؟ فأجاب أغنى
 فأقول:

وفؤادى كلما عاتبته	عاد للذات يبغى تعبى
لا أراه الدهرَ إلا لاهيا	فى تماديه فقد برح بى
ياقرين السوء ما هذا الصبا	فنى العمر كذا فى اللعب
وشباب بان منى فمضى	قبل أن أقضى منه أربى
نفس لا كنت ولا كان الهوى	اتقى المولى وخافى وارهى

فما كان من أمير المؤمنين رضى الله عنه إلا أن قال للشاكين:
من كان منكم مغنيا فليغن هكذا ، وكيف لا ينتصر أمير المؤمنين
لهذا الإمام الصالح ؟ وقد ضرب هو له ولغيره المثل الأعلى
فى محاسبة النفس فى مثل قوله : والله لو أن جملا هلك ضياعا
على شاطئ الفرات لحاسب الله عليه آل الخطاب .

ومحاسبة النفس هى خطوة كبيرة نحو إكساب الروح
حساسية اللوم الباطنى ، وهو يوصل إلى التوبة ويتلوه تصحيح
النفس من العلل والشوائب والغايات وسائر الآفات حتى الخواطر
القلبية ، فإن القوم يحاربونها باعتبارها عقبة فى طريق الصفاء .
ولا تزال محاسبة المرء نفسه ترقى حتى لا تقف عند الأخطاء ، بل
تتعدى ذلك إلى مهاجمة دفين الداء والتقصير فى الطاعة استنهاضا
للهمة وأخذنا للدين بقوة :

والنفس راغبة إذا رغبتَهَا وإذا تُرِدَّ إلى قَلِيلٍ تقنع
والنفس اللوامة نفس خيرة تهرع من الرذيلة إلى الفضيلة
وإن تحمل صاحبها فى ذلك مرارة المجاهدة ، ولذلك وصف

أمير المؤمنين الرشيد الزاهد سيدنا الإمام على كرم الله وجهه
المتقين بقوله « أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُمْ فِي رَاحَةٍ » .
وقد قال أبو حنيفة وهو من أئمة الصوفية : من لم يهتم
نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجبرها
على مكروها في سائر أيامه كان مغرورا، ومن نظر إليها باستحسان
شيء منها فقد أهلكها ، وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه
ويوسف الصديق يقول « وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
بِالشَّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي » .

وقال الإمام البوصيري الجليل رضى الله عنه في برده المباركة :
والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فراعها وهى فى الأعمال سائمة

وإن هى استحلّت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة المرء قاتلة

من حيث لم يدر أن السم فى الدسم

ويعجبني في هذا المقام قول عالمنا الصوفي الفذ فضيلة الأخ
الشيخ على عقل من فتوحاته الربانية المرتجلة وقد كنت أكتب
بعضها عند إنشاده على مجالس الذكر المنيرة :

حاسبت نفسي لم أجدي صالحا إلا رجائي رحمة الرحمن
ووزنت أعمالي على فلم أجد في الأمر إلا خفة الميزان
وظلمت نفسي في فعالي كلها ويحى إذن من وقفة الديان
يا أيها الأيام إني راحلٌ مهما يطل عمري فاني فان
يا رب إن لم ترض إلا ذاتي من للمسيء المذنب الحيران ؟

ثانياً — قصر وجه الله تعالى :

ولا تخفى أهمية هذه القاعدة الأساسية فإنه لو قصد المرء بعمله
الرياء مثلاً حبط عمله لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإنما
الأعمال بالنيات ويقول تعالى في القرآن الكريم : « وَمَا أُمِرُوا
إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » كما يقول : « أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ
الْخَالِصُ » وأنزل في مدح سيدنا الصديق الحازم الرشيد

رضى الله عنه « وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقِ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ،
وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى
وَلَسَوْفَ يَرْضَى » . وامتدح تعالى سيدنا الإمام علياً كرم الله

وجهه وسيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها وقصتهما معروفة
في قوله : « وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ،
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَنُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا »

وقد قال الإمام العظيم سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله
عنه : ليس شيء أشدَّ وأشقَّ في العمل بالطاعة والذكر والتلاوة
من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعاني وإعطاء الحروف
حقها ، مع إرادة وجه الله تعالى ، وهو موضع الإخلاص ،
والعزيمة على العمل بها ، وبه يرجى وهو موضع الصدق ونهوض
السر عن الدنيا وعن كل شيء سوى المولى وهو موضع النية .

واعلم أنه ما دام المرء مطمئناً إلى حسن قصده في عمله
فلا يضيره ما قد يتهمه به الناس بالباطل لأنَّ الله تعالى لا يخفى
عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، والذي يُرْضَى الله لا عليه

من عباده ، والمنصفون قليل . وليكن للسالك إلى الحق أُسْوَةٌ
في الصبر على الأذى بسيد الورى وأفضل من وطىء الثرى
صلى الله عليه وسلم .

ولنلاحظ أن الدين إنما شجع على الصدقة سرا والنفل سرا ،
ليقوى في المؤمن قصد وجه الله في السر والعلانية في كل ما يوفق
إليه من فعل الخيرات ، وقد امتدح حبيبنا المصطفى صلى الله عليه
وسلم سادتنا الأنصار بقوله لهم : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ
الْفَزَعِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » أى إنهم يكثرُونَ عند القتال
ولا يدفعهم إليه إلا وجه الله لاجباً في الغنيمة والفخر .

وقد قال الصوفية : النية عبودية القلب ، والأعمال عبودية
الجوارح . وقال إمام الشريعة مولانا الشافعى رضى الله عنه
حديث « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » يدخل في نصف العلم .

ثالثاً — الزهد في الدنيا :

ويُقَوَّى هذه الظاهرة جهاد النفس لأنها بطبعها تنجح إلى
المظاهر الكاذبة الخادعة وتستحب العاجل على الآجل ، وجهادها

في هذه الناحية إنما يأتي من تذكر الموت وفناء الدنيا وتيقن أنها ليست دار إقامة ، وأن قليلها وكثيرها إلى نفاق ، ويضرب المجاهد لنفسه المثل بمن مضى لتعتبر . وفي القرآن الكريم من الآيات ما فيه مزدجر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

اقرأ إن شئت قوله تعالى: «وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَلَعْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَلَّمُونَ ، وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ » وقوله : « لَا يَغْرُنَّكَ تَلَلُ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ » وقوله : « أَعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرُهُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْرِجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » إلى غير ذلك من الآيات البينات .
 ولا يفوتك أن الله تعالى عرض على سيدنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن يحول له جبال مكة ذهباً ، فقال « لَا يَارَبُّ
 أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، أَجُوعُ فَأَذْكَرُكَ وَأَشْبَعُ فَأَحْمَدُكَ »
 وعندئذ قال له جبريل عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت .
 ومن هنا تعلم أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم هو
 خير من زهد من الزاهدين مع القدرة . أما الزاهد من عدم
 فكالعدم لأن الفتنة إنما تقع إذا ملكت اليدان « كَلَّا إِنَّ
 الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ » .

وقد سار أجلاء الصحابة على سنن حبيبنا المصطفى
 صلى الله عليه وسلم في الزهد حتى ضرب بهم المثل في ترويع ثيابهم ،
 والصبر على عيش الكفاف مع بذل طائل الأموال في سبيل الله .
 ولا يخفى أَنَّ إمامنا الصديق رضي الله عنه خرج عن كل ماله
 في سبيل الله ، وَأَنَّ إمامنا الفاروق رضي الله عنه خرج عن نصف
 ماله ، وَأَنَّ إمامنا ذا النورين عثمان رضي الله عنه مدَّ جيش العسرة

بعشرة آلاف دينار وسبعمئة بعير . وأن إمامنا أبا الحسين
علياً كرم الله وجهه أوقف أمواله في سبيل الله . ولو أن أنفسهم
— حاشاها — أخذت لحظوظها كعامة الناس لآثروا أنفسهم وأهليهم
بهذه الأموال ولأنفقوها في سد الشهوات ، ولكنهم لم يفعلوا
ذلك لأنهم سابقون بالخيرات بإذن الله . وقد قال المرحوم
رفاعة بك رافع الطهطاوى علامة زمانه في وصف السادة الصحابة:
كانت الدنيا في أكفهم لا في قلوبهم، صبروا عنها حين فقدت ،
وشكروا لله حين وجدت، وتصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين ،
وامتثلوا فيها قول رب العالمين « وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ
فِيهِ » ولذا قال الصوفية : الزهد ألا تفرح بموجود من الدنيا ،
ولا تتأسف على مفقود فيها ، عملاً بقوله تعالى « لِكَيْلَا تَأْسَوْا
عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » وقد قيل : من صدق
في زهده أتمته الدنيا راغمة ، كما قيل : إن الله تعالى يعطى الزاهد
فوق ما يريد ، ويعطى الراغب دون ما يريد ، ويعطى المستقيم
موافقة ما يريد . وقال إمام الشريعة مولانا ابن حنبل رضى الله

عنه : الزهد على ثلاثة أوجه : الأول ترك الحرام وهو زهد العوام .
والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص . والثالث ترك
ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين .

رابعاً - نوطير القباب على الرحمة والمحبة للمؤمنين :

وصف تعالى المؤمنين بأنهم رحماء بينهم ، كما خلع عليهم صفة
الأخوة في قوله : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » والأخوة تقتضي المحبة
والرحمة ، وهما يقتضيان التعارف والتودد والتزاور والفرح بما يسر ،
والتألم بما يضر ، وجلب المنافع ودفع المضار . وقد كان حبيبنا
المصطفى صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين المهاجرين والأنصار ، وشبهه
صلوات الله وسلامه عليه المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم
بالجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ،
وقد أثر عن إمامنا الفاروق رضى الله عنه أنه كان إذا نزل بالمؤمنين
بلاء لا يضحك قط حتى يرتفع ذلك البلاء ، وقد حزن رضى الله
عنه لموت إمامنا الصديق رضى الله عنه وقال مبرراً حزنه :

ذهب الذين أحبهم فعليك يا دنيا السلام
إني رضيع وصالحهم والطفل يؤلمه الفطام
وقد ورد في الحديث الشريف « مَنْ لَمْ يَحْمِلْ هَمَّ الْمُسْلِمِينَ
فَلَيْسَ مِنْهُمْ » . وقال الإمام المبارك ابن حنبل رضى الله عنه :
لو كان لى دعوة مستجابة لدعوت للوالى بصلاح الحال لأنَّ
فى صلاحه صلاح الرعية .

وقد حثت السنة النبوية المطهرة على تعميم الدعاء للمسلمين
لرياضة نفوسهم على التراحم والتماسك .

خامسا — التحلى بمكارم الأخلاق :

وهذه فى الواقع تجمع القواعد كلها . وقد أثنى الله تعالى على
الأنبياء والمرسلين بنواحى الأخلاق من الصبر والشكر والحلم
والصدق وغيرها ، كما وصف جبيننا المصطفى صلى الله عليه وسلم
بقوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وفى صيغة الآية من التأكيد
ما فيها .

ولا عجب أن يكون صلوات الله وسلامه عليه قدوة للمؤمنين وهو القائل « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

وقد قال المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى فى كتاب مناهج الألباب : اتفقت الأخلاق والعوائد والشرائع والأحكام على أن مكارم الأخلاق منحصرة فى قوله صلى الله عليه وسلم « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وأن هذا الحديث قاعدة عظيمة فى الدين لأن الرجل الصالح المستقيم الحال لا يقتصر على الكف عن فعل الشر ، بل يرى أن الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف ، فمن لم يضع المعروف فى موضعه مع التمكن منه لا يعدُّ صالحا . فالاستقامة تنهى عن الشر ، والصلاح يأمر بالخير . ثم أورد رحمه الله لبعض الحكماء قوله :

كلُّ الأمور تباعد عنك وتنقضى إلا الثناء فإنه لك باق
لو أننى خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق
وقال آخر :

ليس دنيا إلا بدين ولي س الدين إلا مكارم الأخلاق
إنما المكر والخديعة فى الناس هما من خصال أهل النفاق

وقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها خلق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقالت « كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه » ، والقرآن يحث المؤمنين على اقتفاء أثر حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم والتخلق بأخلاقه العالية في مثل قوله : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » وفي مثل قوله : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرَّ اللَّهُ كَثِيرًا » وقد قال الإمام زروق رضى الله عنه : أصول الخير ثلاثة : التواضع ، وحسن الخلق ، والنصيحة . فالتواضع تتبعه ثلاث : الإنصاف من نفسك ، وترك الانتصاف لها ، وخدمة المؤمنين . وحسن الخلق تتبعه ثلاث : العدل في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنى ، والخشية في السر والعلانية . والنصيحة تتبعها ثلاث : العمل الصالح ، والعلم الصحيح ، واتباع الحق في كل حال .

(٥) سبيل الصوفية في نشر مبادئهم

بينت فيما تقدم أن الصوفية يهدفون إلى تزكية النفوس وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الإسلامية الصحيحة ، والتعلق بالله على أساس الدين الخالص ؛ وللوصول إلى هذه الغاية يعمدون إلى الأخذ بالأسباب الآتية :

(١) **التواصى بالحق** : ومعلوم أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، والتواصى بالحق صفة عالية من صفات الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقد نوه القرآن الكريم بهذه الصفة ، ومن حكم الصوفية الماثورة في هذا المقام قولهم : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

(ب) **البيعة** : وللتوصل إلى التواصى بالحق بهمة وصدق عزيمة يبائع المتابع منهم إماماً أرشد منه في أمر الدين على طاعة الله ورسوله ويتخذهُ أستاذاً ياتمر بأمره ويكون هذا الأستاذ قد استرشد من قبله بإمام آخر ، وهكذا إلى أن يصل الاتباع إلى سادتنا

الصحابة فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والبيعة أمر شرعى ثابت فى الدين من أفعال سيدنا رسول الله
وأقواله ، وقد ثبتت بالقرآن الكريم مبايعته لأصحابه تحت الشجرة
وهذا لا ينافى سابق إيمانهم بل يؤكده ويوثقه ، وامتدح الله تعالى
هذه البيعة ورضى عن المبايعين ، كما بين خطر البيعة وأن مبايعة
سيدنا رسول الله هى مبايعة الله « فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى
نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُِ اللَّهُ فَمَسْئُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا » .
كما ثبتت بالقرآن الكريم مبايعة المؤمنين لسيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وثبت أن البيعة كانت تحصل بإعطاء اليد وقبول الميثاق
الذى يأخذه سيدنا رسول الله على المبايع ، يدل على ذلك ما فعله
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه فى بيعة الشجرة
وضع يده اليسرى على يده اليمنى الشريفة وقال وهذه يد عثمان
حيث كان فى مكة يفاوض أهلها على الصلح .
ونخرج من هذا بالنتائج الآتية :

أولاً — أن البيعة على الطاعة أمر شرعى من سنة سيد المرسلين وإن سبقتها إيمان المؤمنين، فهي تجديد للعهد وتقوية للرابطة وتذكير بالميثاق الدينى ، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم « مَنْ بَايَعَ إِمَامًا أَعْطَاهُ صَفَقَةً يَدِهِ وَثَمَرَةً قَلْبِهِ فَلْيُطِعهُ إِنِ اسْتَطَاعَ »
ثانياً — أن المبايعة تكون باليد ظاهراً ولكن ينبغى أيضاً

أن يصاحبها صدق القلب باطنا بدليل قوله تعالى فى امتداح بيعة الشجرة « فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ » . والقلوب المجتمعة بصدق هى التى تصاحبها بركة الجماعة التى على قلب واحد . أما الجماعة المتحدة بظاهرها والمتفرقة بقلوبها — نعوذ بالله منها — فىكفى ذمها لما قوله تعالى فى المنافقين « تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى »

(ح) الصَّحَابَةُ : وقد ثبت أيضاً أن سيدنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان فى حياته الشريفة يرسل الرسل والسرايا ليبشوا الدين وتعاليمه فى الجهات النائية عن مركز الرسالة ، وكان يؤمّر عليهم أميراً يكون إماماً لهم يسترشدون به ويرجعون إليه فى أمر دينهم ، ومن ذلك مثلاً أنه أرسل سيدنا مصعباً رضى الله عنه

إلى أهل المدينة قبل أن يهاجر صلوات الله عليه إليها ، وكما أرسل سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن .

ومن هنا نعلم أن إمامة الرجل الرشيد الصادق في دينه لآخوانه المؤمنين أمر أساسى فى الدين من زمن سيد المرسلين لأن العلم بالتعلم ، ومن شأن هذا الاتباع أن يبعث فى قلوب الإمام والمأمومين المحبة فى الله بحسن التعلم وصدق الاتباع .

وهذه هى الصحبة التى يدعو إليها الصوفية جيلا بعد جيل ، وقد قال إمامنا الشاذلى رضى الله عنه : أوصانى حبيبي فقال : لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس إلا حيث تأمن من معصية الله ، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله ، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا .

ومن حكم المرحوم شوقى بك فى هذا المعنى قوله :

أَسَاءَ جِسْمِكَ شَتَّى حِينَ تَطْلِبُهُمْ

فَمَنْ لِرُوحِكَ بِالنُّطْسِ الْمَدَاوِينَا

وكما أن الشرَّ يعدى فكذلك الخير يتعدى ، ولا ينكر عاقل
 ما للوسط من أثر في النفوس ، غير أن حسن الاختيار في الصحبة
 مطلوب والتدقيق في اتخاذ الإمام واجب ، والمقياس الصحيح
 الذى يقاس به الإمام هو مقياس الشرع ، ولذا قال الإمام الجنيد
 رضى الله عنه : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به
 فى هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ؛ وقد حذر
 الإمام سهل رضى الله عنه من صحبة ثلاثة أصناف : الفقراء
 المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين ، والجبابرة الغافلين . وقد قيل :
 عليك بصحبة من يعظك بلسان فعله أكثر مما يعظك
 بلسان قوله .

وعلى المتابع بعد أن يختار إمامه الرشيد أن يلتزم فى متابعته
 الصدق والإخلاص والهمة ويعتبره والدروحه ويطلب مرضاة الله
 فى طاعته أو لست تسمع لقول الله تعالى على لسان سيدنا موسى
 الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم « قَالَ لَهُ مُوسَى
 هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رَشْدًا ، قَالَ إِنَّكَ لَنْ

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا» وقد جاء في الحديث الشريف «مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمِهِمْ وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَتْ مَرْوَتُهُ وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ وَحَرُمَتْ غَيْبَتُهُ» وكما يلتزم التابع حسن الصحبة مع أستاذه يجب عليه بالمثل أن يلتزم حسن مراقبة إخوانه الذين يتتلمذون على أستاذه وحسن معاملته سائر المؤمنين، فلا يتعصب لأستاذه أو لفريقه إذ لا يتعصب في دينه إلا أحق أو جاهل.

وربما عرض للإنسان من نفسه: هل صحبتي للأستاذ ضرورية مادمت آمنت بالله وكتبه ورساله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره؟ ثم ألا يكفي أن أتفقه في ديني على هذه العقيدة وأصلي وأصوم وأزكي وأحج كما أرشد الشرع؟ فأقول جوابا على هذا وبالله التوفيق:

ما من كمال إلا وفوقه ما هو أكمل، وقد ورد في الحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَائِلَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»

وعلى المؤمن الموقن المتفقه في دينه والقائم بمحدوده أن يسعى لتزكية نفسه لترداد رقياء في إيمانها ويقينها درجات بعد درجات لأنه بهذا الاستعداد الجميل يكون مهيناً لكسب الكمالات ومضاعفة الثمرات ولا يكون هذا إلا بمتابعة أستاذ أقوى منه رُوحاً وأكثر منه في الدين إحساناً . فإذا اكتفى بمرتبته الأولى ولم يحاول بعدها مزيداً من الخير يكون كمثل رجل يريد أن يعيش في دنياه بالكفاف من الخبز القفار ويقول : يكفيني أن أعيش فلا يطالب ما هو أدمم وأنفع لجسمه وأعود بالقوة عليه ، ولا شك أن المؤمن القوي أنفع من المؤمن الضعيف وإن كان في كلٍّ خيرٌ . وكما أن للجسم أغذية متفاوتة فكذلك للروح أغذية متفاوتة فمن طاب الخسيس عاش ضعيفاً ومن طاب الهني عاش قوياً . وقد قال بعض الحكماء :

من يستطيع بلوغ أعلى رتبة ما باله يرضى بأدنى منزل

ولا يخفى أن مراتب الدين تتدرج من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان ، ويشهد لذلك القرآن الكريم كما تشهد به السنة الشريفة ، انظر إلى قوله تعالى : « قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ

تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ »
ثم إلى حديث الإسلام والإيمان والإحسان حيث أجاب سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام حين سأله
ما الاحسان ؟ « الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ
تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .

وينبغي أيضا أن يلاحظ أن الإيمان درجات يزيد وينقص ،
وقد قال بهذا الإمام البخارى حيث قال : حضرت العلم عن ألف
وثمانين شيخا كلهم أجمعوا على أن الإيمان علم وعمل يزيد
وينقص ، ويؤيد القرآن الكريم ذلك فى آيات كثيرة .

ونخرج من ذلك بأن العلم بالدين مطلوب ولازم شرعا ولكن
لا بد لمن يريد العزة فى دينه أن يطالب إلى جانب العلم التربية
الصوفية العالية التى تقوى روحه فى الدين ، وإن عاش بالعلم والعمل
القليل وحدهما ولم يسع فى صقل روحه على يد أستاذ عارف من عباد
الرحمن كان ضعيفا فى همته فاترا فى عزمه راضيا بالذنى دون السننى
فى دينه وتعرض فى ضعفه هذا لغواية الشيطان . وقد قالوا : إن الذى
لا يأخذ عن أستاذ يكون كالشجرة التى تنبت بنفسها فهى تورق

ولكنها لا تثمر . وإذا كان المرء لا يقنع بالقليل في دنياه فكيف يرضى بالقليل في دينه وهو أعز وأبقى ؟ .

ولابد للإنسان من مربٍّ يعينه على نفسه وشيطانه وناصح مأمون النصيحة عرف مسالكهما يستعين به على سلوك طريق الهدى بالقول والعمل .

وقد أخذ سادتنا الصحابة التربية العالية عن سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، وقد غمرتهم أنواره غمرا ، فلانت قلوبهم بعد قسوتها ، وخشعت أرواحهم بعد جموحها ، وقد كان يجلس إليه صلى الله عليه وسلم البدويّ الجلف فلا يقوم من مقامه حتى يصير ملكا رحيا بعد أن كان شيطانا رجيا . وليس هذا بالعلم وحده بل بالتهذيب الروحي والنور القلبي ، فالعلم يبدد ظلمات الجهالة من العقل ، والنور يبدد آفات القساوة من القلب « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يذوقون من حلاوة القرآن ما لا تذوق ، وكانت تقشعرّ منه جلودهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . فما لنا لآنحس بإحساسهم والقرآن لم يتغير ؟

الجواب على ذلك ليس بعسير ، فالقلوب تغيرت والنفوس تكدرت والأرواح صدأت فصرنا نضحك حيث كانوا يبكون ونمزح حيث كانوا يجحدون وننام وكانوا قليلا من الليل ما يهجعون . أو ليسوا هم الذين اغتربوا عن أوطانهم وأهلهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ؟ أو ليس منهم الذين ضاقت عليهم أنفسهم وضائق عليهم الأرض بما رحبت حين تابوا من تقصير وقع ؟ أو ليسوا هم الموصوفين بالوصف الخالد « رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » ؟ أو ليسوا هم الذين كانوا « يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » فأين نحن من هذه الصفات وأمثالها؟ على أنك تلاحظ أنه مع امتياز الصحابة رضوان الله عليهم في أحاسيسهم القلبية وأنوارهم الروحية فإنهم كانوا يحرصون على الاجتماع بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ففازوا بخير صحبة عرفها بنو آدم . وقد ندد الله بمن لم يحرص على هذه الصحبة فقال : « إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ

وَرَاءَ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وقد أثنى الله على آداب سادتنا الصحابة في صحبتهم بسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه فقال : « إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » .

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه يحب إليهم محبة بعضهم البعض، فأخى بين المهاجرين والأنصار، وكان الواحد منهم يرث أخاه في الدين حتى نسخ ذلك بأولى الأرحام . وكان ذلك لتعويد المؤمنين على التعاون على البر والتقوى بصدق ومحبة وأخوة حققة . وأنعم بأخوة الدين من أخوة . والاسلام دين لا يعرف الشعوبية ولا يدعو بدعوى الجاهلية بل يسوى في الدين بين العربى والعجمى والشرق والغربى ولا يفضل أحدهما على الآخر إلا بالتقوى .

(د) ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى : أجمع العارفون من

أهل التقوى على أن ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى : يصقل القلوب

ويوقظها من غفلتها ، ويكسبها صفاتٍ عاليةً في الدين لا تتأتى لها من غيره فوق أنه يعالجها من أمراضها التي تسبب لها الكدورة وتورثها البلادة كالعجب والرياء والحقد الخ . ومن شأن هذه الأمراض الباطنة أن تسدل حجباً على القلوب فتعكر عليها نور الإيمان وصفاءه كما تعكره المعاصي سواء بسواء

— والجمر يوضع في الرماد فيخمد — .

لذلك أرشدوا تابعيهم إلى ذكر الله والإكثار منه سرّاً وجهرّاً ليجمعوا القلوب على الله ، كل بحسب مذاقه وفتح الله عليه ، وكانوا هم قدوة صالحة لهؤلاء التابعين فأتت دعوتهم أطيب الثمرات وهي دعوة بالعلم والعمل لا بالقول والجدل وقد قال الامام الجنيد رضى الله عنه : ما طلبنا التصوف بالقليل والقال والمراء والجدال ، بل طلبناه بالجوع والسهر والأفعال .

وقد كان من أثر العلم والعمل بإخلاص أن أوتى هؤلاء الأَكابر الحكمة «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» فلحقنوها لتابعيهم وهدوا بها من الضلال وعصموا بها من الفتن وصارت نوراً يستضاء به على ممر الأجيال ، ولا عجب فقد قال سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَنَّهُ اللهُ
عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » كما جاء في الأثر عنه صلوات الله وسلامه عليه « إِذَا
رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ أُوتِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَمَنْطِقًا فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ
يُلْقِنُ الْحِكْمَةَ » .

وتأييدا لصدق دعوة هؤلاء الأئمة المرشدين ظهرت على أيديهم
خوارق العادات وهي ما تعرف « بالكرامات » ليربط الله بها
على قلوب تابعيهم وإن كانت هذه الكرامات ليست شرطا في
صحة إمامتهم ؛ بل الشرط اللازم والأهم هو اتباع الكتاب
والسنة بإخلاص . ولذا قيل للإمام المرتعش رضى الله عنه : فلان
يمشى على الماء ، فقال عندي من مكَّنه الله تعالى من مخالفة هواه
فهو أعظم من المشى في الهواء . ويلاحظ أن كرامة الولي معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم لأن الله يكرمه بها بسبب اتباع شرعه
بهمة وصدق . وقد رأينا من أستاذنا رضى الله عنه بل ومن
إخواننا شيئا كثيرا جدا لا ينكره إلا المكابرون .

ولصدق هؤلاء الأَكابر مع الله ينفذ الله دعوتهم إلى قلوب

تابعيهم فتنقاد طائعةً لهم وتتشرب مبادئهم وتزدهر على أيديهم
فينضج من تابعيهم من يكون قدوة لغيره فتتوارث دعوتهم جيلاً
بعد جيل وذلك من آيات الله في حفظ دينه القويم « وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

٦) كيف تختار أستاذك ؟

أما وقد قدمت لك ما تأخذ منه فكرة عن الصوفية
وما يدعون إليه فإني على ضوء ما قدمت أبين لك بإذن الله كيفية
اختيار أستاذك من بينهم إن كنت ترجو الله واليوم الآخر
وتذكر الله كثيراً .

راع أن يكون أستاذك صوفياً أو متصوفاً منتهياً ، وقد عرّفه
ابن الجوزي فقال : المتصوف المنتهى هو ذلك الذي يربيه الحق
من صغره فتراه في الطفولة معزلاً عن الصبيان كأنه في الصبا شيخ
ينبو عن الرذائل ويفزع من النقائص ، ثم لا تزال شجرة همته تنمو
حتى يرى ثمرها متهدلاً على أغصان الشباب فهو حريص على العلم

منكمش على العمل ساع في طاب الفضائل خائف من النقائص ،
ولو رأيت التوفيق والإلهام الرباني كيف يأخذ بيده إن عثر ويمنعه
من الخطأ إن همّ ويستخدمه في الفضائل ويستعمله حتى لا يراه
منه — فلو تصورت النبوة تكتسب لدخلت في كسبه .

وأنت ترى من هذا أن الأستاذ لا يتأتى إرشاده النافع لغيره
إلا باستعداد فطريّ فيه وبعناية إلهية تواتيه فيختصه الله بفضله
ويجعله ميسرا لما خلق له من توجيه الخلق إلى الحق بالعلم والعمل
وسطوة النور القلبي الذي يمشى به في الناس .

وقد تقول : وكيف لي أن أراعي استيفاء الأستاذ لهذه
الصفات وأنا أصغر منه سنا ولم يتيسر لي تتبع حياته منذ نشأته ؟
فهاك بعض نصائح تعينك على حسن اختيار الأستاذ :

(١) يمكنك أن تراعى في الأستاذ الذي تتخذه إماماً لك
في تربيتك الصوفية توافر شروط خمسة هي كما بينها أهل الرشد :
ذوق صريح ، وعلم صحيح ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، وبصيرة
نافذة . ومن العلامات الدالة على توفرها : السخاء ، وحسن الخلق ،

والشفقة على خلق الله ، وعدم الانكباب على جمع الدنيا ، ومجانبة الدعوى ، وعدم الشكوى من ضيق العيش أو إعراض الناس ، وانكسار قلبه مع الله ، وظهور البركة والصلاح في أتباعه (وليس من لازمه الكرامات والإخبار بالغيب) .

(ب) يمكنك أن تقتدى في اختيار الأستاذ بغيرك ممن تشق بصدق دينه وحسن إدراكه من إخوانك المؤمنين ، خصوصاً من هم أغزر منك علماً بالدين ، وأكثر فيه رشداً ؛ فإن هؤلاء لا يتخذون إمامهم إلا بعد التثبت من أنه أهل للإرشادهم في سلوكهم إلى الله .

(ح) تسأل الله في سرّك وجهرك أن يدلّك على الأستاذ فإنه تعالى إذا علم صدق العبد في دعوته أجابه وأعاناه ويسر له سبيل الرشاد .

ومن المفيد أن أنقل لك ما قاله الإمام أبو علي الثقفى الصوفى :
لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام مؤدب ناصح ، ومن لم يأخذ

أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات .

(٧) من هو أستاذي ؟

بعد هذه المقدمة الموجزة يطيب لي أن أسعد بتعريف إخواني المؤمنين بأستاذي الفاضل الكامل الهادي الرشيد قدوتي إلى الله وذخيرتي عنده ، العارف بالله سيدي السيد [عبد السلام] الحلواني لقبا، الخليجي بلدا، الشافعي مذهبا، الخليلي البيومي طريقة.

(١) اسمه وألقابه :

هو السيد أحمد عبد السلام الحلواني الذي اشتهر في صغره بأحمد الراضي ، وعرف بين الناس باسم السيد عبد السلام الحلواني رضي الله عنه .

(ب) مولده :

وقد ولد رضي الله عنه بقرية رأس الخليج مركز شرين

مديرية الغربية في يوم ٢١ رمضان من سنة ١٢٩٢ هجرية في بيت علم وشرف وصلاح متوارث ، وكان رضى الله عنه يحى كل عام ليلة ميلاده بدعوة جميع الإخوان إلى طعام الإفطار ويسميها ليلة الشكر ويخدمهم فيها بنفسه وينتقل بينهم يؤانسهم ويؤاكلهم على كثرة الموائد الممدودة .

(ح) أبوه :

أما أبوه : فهو العلامة العارف بالله سيدى أحمد بن أحمد ابن إسماعيل الحلوانى الخليجى الشافعى الخلوئى صاحب التأليف الجامعة التى جاوزت الستين فى علوم الدين واللغة والتصوف . وقد كان آية زمانه وإمام وقته فى الدعوة إلى الله ، وقد توفى رضى الله عنه فى سنة ١٣٠٨ هجرية ، وما تزال تأليفه مرجعا لفحول العلماء وأكابر العاملين . والله در المرحوم حفى بك ناصف إذ يقول مشيرا إلى بعض فضله ، وقد كان رحمه الله من تلاميذه :

أى فن ليس فيه مفرداً أو سباق لم يحز فيه السباق
سله عما شئت فيما شئت وتعجب بعد ذا مما يساق

وتجده لهذا الإمام الجليل ترجمة وافية في رسالة لحفيده المبارك
التقى السيد [أحمد عبد المنعم الحلواني] نجل أستاذنا المترجم له اسمها
[طريق الحق ومبادئ السلوك إلى ملك الملوك] .

(د) نَسْأَتُهُ :

وفي كنف والده الإمام الجليل نشأ سيدي وأستاذي المبارك،
فحفظ القرآن والمتون على يد عمِّ له، وتفقّه علما وعملا على يد والده
كما أخبرني رضى الله عنه، وكان أبوه يلمس فيه النجابة والصلاح،
وبشره بنور بصيرته، بأن شأنه سيعلو في الدين وقال له «عبد السلام
شيخ الإسلام» وذكر لي رضى الله عنه أن شيخ أبيه سيدي
عمر بن جعفر الشبراوى قطب عصره كان مرة في زيارة أبيه فلهجه
بين الصبيان فلاطفه وأعطاه قرشا وقال له خذ هذا واحفظه عند
والدتك ولا تضيعه، وكان سيدي عمر رضى الله عنه بتلك المنحة
يبدش أيضا بما سيكون لأستاذي العظيم من فضل في مستقبله، وهو
ما كان بحمد الله .

وقد لقنه أبوه العهد من صغره على الطريقة الخلوتية ، وبعد أن حفظ القرآن والمتون أرسله في طلب العلم إلى الأزهر الشريف إلا أن المنية عاجلت والده في سنة ١٣٠٨ هـ فرجع إلى بلده واشتغل بزراعة أطيانه التي ورثها عنه وجدّ في دينه كما جدّ في دنياه فبسط له الله عيش الدين والدنيا معا ، فأنفق من ماله كثيرا في سبيل الله ، وخدم إخوانه الخلوتية ، وكان قدوة طيبة لهم في المهمة فاجتمعوا عليه وانتفعوا من صحبته واعتقدوه . وأخبرني رضى الله عنه أنه كان يواظب على قراءة ورد سحر قبل الفجر .

ثم التحق بوظيفة في الدائرة السنية وعرف بين أقرانه من الموظفين بالتقوى والصلاح فاعتقدوه كذلك وانتفعوا من ملازمته ، وروى لى رضى الله عنه أن رئيسا له حينئذ شكاه من استعصاء علاج حرمه من مرض أصابها فقرا سيدي شيئا من القرآن بنية شفائها فشفيت فازداد رئيسه تعلقا به واستمسكا بالعقيدة فيه ولقبه بالشيخ .

ثم رجع سيدي إلى الاشتغال بالزراعة والتجارة ثم استأنف

العودة إلى التوظيف فاشتغل سكرتيرا خاصا لمحافظ القنال ، ثم ترك هذه الوظيفة والتحق بوظيفة في دائرة باغوص باشا نوبار بالفيوم ، ثم عاد إلى بلده وتعرف بعد ذلك إلى الوالى الربانى والقطب النورانى سيدى الحاج محمد أبى خليل (ساكن ضريحه الأنور بالزقازيق) وكان قد نشر فى الناس نوره فأخذ عنه الطريقة الخليلية البيومية برؤيا رآها ، فقرّبه ذلك العارف الكبير إليه وأقبل بقلبه عليه فازدهر وازدان حتى لقبه شيخه هذا بولّى الله الكامل وقال له مرة على ملاء من إخوانه : والله العظيم والله العظيم أنت قطب أنت قطب .

وقد أذن له شيخه القطب سيدى الشيخ أبو خليل بتلقين العهد على الطريقة الخليلية البيومية ، فأخذ عنه جمهور كبير من بلاد عديدة فى حياة شيخه ، وكان الشيخ يمتدحه كثيرا للآخذين عنه وينوّه لهم بفضله وصدق دينه .

وقد ترك سيدى الأستاذ بلده بإذن شيخه (كما أخبرنى رضى الله عنه) والتحق بوظيفة فى دائرة سمو المغفور له الأمير

عمر طوسون بجهة دميرة فنشر دعوته لله فيها وفي القرى المجاورة ،
ثم نقل إلى مقر الدائرة بالإسكندرية فكثرت تابعوه فيها وفيما
جاورها من البلاد مثل كفر الدوار ورشيد وإدكو . الخ ، وظهرت
البركة على أصحابه وكان منهم طائفة من العلماء وخرى يجي المدارس
العليا فعرفوا زملاءهم به فأخذوا بالمثل عنه واغترفوا من منهله
الصافي فرووا وامتازوا بالآداب الدينية السامية حتى صارت لهم
سما تميزهم من الرشد والكمال ، ولا تعجب فالمرء على دين خليله .
وكان شيخه رضى الله عنه يزوره في مقره ويزور معه أتباعه
في البلاد العديدة التي فتح الله قلوب أهلها على يديه ، وكان يثني
لهم عليه فيزدادون تعلقا به وحبا فيه ، وكان يحله أمامهم إجلالا
كبيرا لا يدانيه فيه أحد من خلفاء الشيخ الآخرين .

وكان هو أيضا رضى الله عنه يحلّ شيخه كل الإجلال
ويرد ما هو فيه من الفضل والنعمة له باعتباره مربيه وصاحب
اليده عليه ؛ وقد جاء في الحديث القدسي «عَبْدِي لَمْ تَشْكُرْ نِي مَالَمَ
تَشْكُرْ مِنْ أَجْرَيْتِ النِّعْمَةَ لَكَ عَلَى يَدَيْهِ» وكان يقول لى رضى الله

عنه عن شيخه أنه كان آية من آيات الله ، كما كان يقول لى
إن البركة التى يراها فى دينه ودنياه هى بركة شيخه سيدى الشيخ
أبى خليل رضى الله عنه .

واعترافا بفضل شيخه ألف أستاذى رضى الله عنه كتابا
فى سيرته سماه [السيرة الخليلية] وهو إلى جانب السيرة من المراجع
المفيدة فى الدعوة إلى الله وآداب السادة الصوفية وهو مؤيد بأدلة
قوية من الكتاب والسنة ، وقد شهد له أهل المعرفة بأنه من خير
ما كتب فى هذا الباب .

وإليك بعض ما وصف به أستاذى شيخه رضى الله عنهما
فى ذلك الكتاب : [فى أوائل القرن الرابع عشر ظهر قطب هذا
العصر الغوث العامل سلطان الزاكرين وتاج العارفين وقدوة
العاملين وحبل الواصلين والشمس التى أشرقت على القلوب
فانتعشت ، وبسط عليها شعاع الإخلاص فانبسطت ، وأمطر عليها
غيث الرحمة فربت ، وبذر فيها بذور المعرفة فأنبثت ، وسقاها من
ماء إيمانه فثمرت ، ولا حظها بروح المفاجأة فأينعت ، وتعهدا من عبث

الشياطين وتعدى المفسدين فحفظت حتى أثمرت ، وعرفت مولاهما
وخالقتها سبحانه وتعالى معرفة حقيقية فابتهجت ، ودبت فيها روح
الحياة الطيبة فألهمت ، وأعطاهما معطى النعم علما من لدنه خالصا
من شوائب الأغيار فظهرت من رجس الظهور ومن نفثات
الشياطين فعملت بما علمت ، وسارت بسير أهل الحقيقة على
ناموس الشريعة فسلكت ، وظهر الحق وزهق الباطل إن
الباطل كان زهوقا . وقامت على ذكر الله فخشعت ، « وَخَشَعَتِ
الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » ، فآمنوا به إيمانا سلك
بهم إلى معرفة نفوسهم ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه .

وذلك هو الأستاذ الجليل والشيخ العظيم الذى ليس له مثيل
سيدى وأستاذى وقدوتى إلى الله تعالى سيدى الشيخ [محمد
أبو خليل] رضى الله عنه وأرضاه وأمده بروح تجلياته فى سلك
حضرة أنبيائه صلى الله عليهم وسلم .

ظهر رضى الله عنه فى فترة كاد الحق فيه يطمس بين أمة
منصرفه عن الطاعة إلى اللهو واللعب والفسوق والعصيان وتقلب

أهل الزيغ، وقلَّ أن تجد من يفكر في اتباع أوامر الشرع إلا القليل من المؤمنين ... فلما ظهر رضى الله عنه ساق النفوس إلى معرفة ربه بمدد نبوى حقيقى أمدده الله به من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ولحظه بعين عنايته ووالاه برعايته .

دعا الناس إلى العبادة والطاعة فانتشرت دعوته وسطعت أنواره وبرزت له الأرواح فأمدها من نور روحه الطيبة العالية فبذر فيهم بذور الحب فاشتاقوا إلى مولاهم وقادهم إلى محبته فهاموا وقاموا على ذكره فتلذذوا ، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره .

فكان رضى الله تبارك وتعالى عنه لهم شمس الحقيقة من مشكاة ذى الجلال ، وما زال يجاهد ويدعو بسرِّ يبعثه الله في القلوب فتؤمّه الناس حتى انتهت إليه الرياسة في هذا العصر ، فكان مع الكياسة والفتنة والذكاء ورجحان العقل الموهوب يقيم وزن الحقيقة بالقسط على دعائم الشرع ، فسلك المسلك القويم وأبان السبيل ، وهدى الناس إلى طريق مستقيم [.

وإني وإن لم أرسيدى الشيخ أبا خليل رضى الله عنه فإني

أيقنت بعلوّ فضله وعظم شأنه مما رأيته في أستاذي السيد عبد السلام الحلواني رضى الله عنه من الكمال وسموّ التربية ، وهو من ثمرات غرسه المبارك ؛ وقد قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : ليس الشيخ من حيا في نفسه ، إنما الشيخ من حيا به غيره .

وقد أقام سيدى الأستاذ سنوات طوالا في الاسكندرية كانت لأصحابه روحا وريحانا ، ولا يزال أهل الصلاح في الاسكندرية يتحدثون عنها ويتغنون بها . وقد روى لى سيدى رضى الله عنه أنه فكر مرة في ترك العمل بالدائرة والعودة إلى بلده ولكنه عندما استشار شيخه لم يوافق على الفكرة فأذعن لرأيه .

وفي سنة ١٩٣١ نقل سيدى الأستاذ إلى القاهرة بوظيفة مأمور دائرة طوسون فالتف حوله أصحابه الأقدمون الذين كانوا يعرفون فضله وصحبه آخرون ، وكان منزله بشبرا مثابة للجميع من أصحابه وغيرهم من أحبائه ؛ ولا ننسى أنس الجلوس بين يديه ولا حلو حديثه رضى الله عنه .

وعلى الرغم من تقدم سنه وكثرة أعماله كان سيدي الأستاذ يضحى براحته وصحته في الدعوة إلى الله فكان يزور أصحابه في حفلات الذكر ليليا ، وكان يوالى أصحابه في البلاد الأخرى بزياراته وكنت أضحبه في بعضها ، وكان رضى الله عنه يقول لى : الإخوان يحتاجون للموالة ولا أنسى ابتهاج الإخوان بمقدمه وتأثرهم الشديد بفرقته .

ثم طاب رضى الله عنه إحالته إلى المعاش في سنة ١٩٤١ لمرضه وللازم بينه ولكن المرض لم يحجبه عن لقاء أحبائه وزواره والدعوة إلى الله ، وتدير أمور الطريق ، ثم رأى رضى الله عنه قبل انتقاله أن يجمع شمل الطريق على نظام يحفظ له رابطته وشأنه على ما كان في عهده بلا تغيير ولا تبديل ، فسنّ للإخوان قانونا ينظم جماعتهم ويحفظ رابطتهم ، وقال من تبعه فإنه منى فكان ذلك عملا جليلا ووصية طيبة ، وكأنه كان يحس قرب انتقاله إلى جوار ربه ، وكان يقص على الإخوان كثيرا من المرائى مشيرا إلى ذلك ، منها أنه قص قبل وفاته بأيام ، ولم نعرف مراده

منها إلا بوفاته ، قال رضى الله عنه: رأيت طائفة منقضة نزلت إلى هنا وأخذتني ثم سكت ، وقال للسامع أتدرى من كان فيها ؟ قال لا ياسيدى . قال كان فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول فى الأسبوع الذى توفى فيه: أحب أن أخرج من الدنيا وإخوانى يذكرون الله سبحانه وتعالى فى الحضرة لتخرج روحى بين أنفاس الذاكرين ؛ فلما كانت ليلة الجمعة ١٠ من ذى القعدة سنة ١٣٦٣ هجرية الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٤ اجتمع الإخوان بعد صلاة العشاء كعادتهم للتعبد والذكر فناداهم إلى جواره وصار يحادثهم ويسألهم عن أهلهم ويؤانسهم إلى الساعة التاسعة مساء ثم قال لهم قوموا إلى مجلس الذكر ثم بدأ هو يذكّر لفظ الجلالة (الله) ووافاه مرض الاحتضار وهو يردد لفظ الجلالة إلى النفس الأخير ، ولم نسمع منه كلاما غيرها إلا قوله (الحمد لله رب العالمين) فكانت آخر جملة قالها ، وفاضت روحه راضية مرضية ، وأجاب الله أمينته .

ودفن فى قرافة سيدى عمر بن الفارض عصر يوم الجمعة من

ذلك التاريخ ، رفع الله في عباده المكرمين درجته ، وجزاه
بجهاده في سبيل الله خيرا كثيرا .

وقد احتفل بذكري مولده بتصريح من وزارة الشؤون
الاجتماعية في ذى القعدة سنة ١٣٦٤ وأكتوبر سنة ١٩٤٥ .
وكان مولدا جامعا للإخوان كما كان فياضا بالأنس والبركات .

(هـ) كيف انصلت به ؟

كان لي صديق من أهل العلم يحدثني عن فضل طريقتهم
الخليلية البيومية ويمدح لي شيخه وإخوانه ، وكانت عندي فكرة
خاطئة عن الطرق الصوفية وتابعيها .

وكنت أظن أنه لا يتبعها إلا الدهماء والبسطاء ولا يدعو
إليها إلا المدعون ابتغاء لا بتزاز أموال الناس بالباطل ، غير أنني
في الوقت ذاته كنت أتوق لصحبة إمام قوى في دينه أزكى
بصحبته روى وأبعث به فيها الحياة الفتية النامية . ولما لم أجد
هذا الإمام الذي أنشده عكفت على حفظ القرآن وقلت : كفى
به مربيا .

وكان صديقي يتردد على زيارات كثيرة وفي إحداها أعاد الحديث عن إخوانه وفضلهم في الأدب الإسلامي ونوّه بأخ لهم كفيف البصر ألهمه الله العلم والأدب بفتح قدسى؛ ومن ذلك أنه يقول الشعر استرسالا على البديهة ، ويأتيه أهل الأدب فيلقون إليه بأبيات شعرية يخمسها لوقته ويشطرها وينطق على وزنها وقافيتها بقصائد طويلة يدعو فيها إلى فضائل الدين والتصوف . ولأنى كنت متشبعا بفكرتى الأولى عن أهل الطرق الصوفية ظننت أن كلام صديقي إن هو إلا ضرب من المبالغة والتعصب وصارحته بذلك ، فقال لى: اليبنة على من ادعى ، فهل لك أن تصحبنى إلى مجلس الإخوان بمولد السيدة زينب رضى الله عنها ، فترددت فى إجابته إلى رغبته ، لأن فكرتى عن الموالد لم تكن أقل خطأ منها عن الطرق الصوفية ، إذ كنت أظن بل أعتقد أن الموالد كلها شعوذة وخرافات ومبائة للدجل فى ثوب الدين الكاذب ، غير أنى قلت وما عليك أن تصحبه وتكشف أمر مبالغته وتزداد يقينا بعقيدتك فى الموالد وأهل الطرق .

وما كدت أنظر إلى مجلس إخوانه حتى أخذتني دهشة
إذ رأيت فيهم طبقة محترمة ينمّ عنهم لباسهم ، والمطربشون فيهم
أكثر من المعممين ، والشباب أكثر من الشيوخ وهم يذكرون
الله في خشوع ، وينطقون بلفظ الجلالة بمنطق واضح وإن كان
في همس ، ويتمايلون يمينا وشمالا باعتدال ومن غير تكسر ولا هرج
وزادت دهشتي حين أخذت أنصت لهذا العالم الرباني الكفيف
وهو يثير حماس الذاكرين بشعر عربي مبين ، رقيق اللفظ ، عذب
المعنى ، يأخذ من السامع مجامع قلبه وحسه ، فما كدت أنصت له
قليلا حتى أخذتني رعدة وسرى في بدني ديب كديب النمل ،
أما صوته فجميل ، وأما كلامه فأجمل ، وكان لي ميل إلى الأدب
العربي فأخذتني نشوة الأدب فوق ذلك الإحساس الذي وصفت
لك . وأذكر أني حفظت للأستاذ أول بيت سمعته منه في أثناء
قصيدة يمدح بها سادتي آل البيت وهو على ما أذكر :

لا تحسبوني جهلت المقام فإني بقلبي بكم أستشير

ولكني مع ذلك لم أسلم بأن هذا شعر إلهام وقتي ، وقلت

لعله محفوظ ، وما هو إلا أن انهالت على الأستاذ في فترة هدوء
مجلس الذكر أبيات من كل حدب وصوب وهو يخمسها
ويشطرها تخميسا وتشطيرا مصنف لاشية فيه ، أذكر منه على سبيل
المثال بعض ما كتبه عنه :

هات النجوم أصغ بها أبياتي إن المقام سما عن الكلمات
وقد خمسه بقوله على الفور :

آل النبي تزايدت لوعاتي لا تحرموني الوصل قبل مماتي
يا طالبا وصفي لهم بالذات هات النجوم أصغ بها أبياتي
إن المقام سما عن الكلمات

وسئل أن يشطر البيتين الآتين :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبّا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا
فقال مرتجلا كذلك :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم إن ذكراكم تزيد الفرحا
وأعيدوها علينا أبدا رب ذكرى قربت من نزحا

واذكروا صبا إذا غنى بكم نسي الكون فنال المنحاح
وإذا ما يم الحى دُجى شرب الدمع وعاف القدحا
وهكذا كان ينساب كلامه كالسيل الجارف ؛ وذلك هو العالم
الموهوب فضيلة الأستاذ الشيخ [على عقل] رمز الطريق ، وآية
العطاء ، وأحد أعلام الإخوان ، وهو إمام مسجد المواساة
بالإسكندرية فى الوقت الحاضر .

وشوقنى هذا الذى رأيت وسمعت أن أكرر الزيارة لهم مع
صديقى ففعلت فى الليالى التالية وشغفت برؤية هؤلاء الذين
وسماع هذا الناصح الأمين ، فسمعت فى الليالى التالية ما هو أغرب
وأعجب ، إذ سمعت هذا الفاضل يفسر آيات من القرآن تفسيراً بيناً
لا يدع للسامع شبهة ، وكان يعرج فى التفسير وهو يتدفق فيه تدفقاً
على أحكام فقهية ، فلا يكتفى بمذهب بل يتعداه إلى المذاهب
الأخرى ، ويذهب فى سرد هذا الفقه المقارن إلى حكم السماء ولباب
العلم ، فقلت أنعم بهذا الوسط الذى يأخذ الدين بعلمه ويهذب الروح
بعمله ، وهنا علمت أن كل طائفة فيها الصادق والكاذب ومن الظلم

أن ينظر إلى كل أهل الطرق على أنهم سواء في الجهل والدجل ،
كما علمت أن الموالد فيها الغث والسمين شأن كل الاجتماعات
العامة ، فيها الأزهار والأشواك ، وقد خلوت لنفسي وقلت :
ما أحوجك لمخالطة هؤلاء الذين لا يسألون الناس أجرا فتأخذ
قسطا من علمهم وعملهم وأدبهم ، ففاتحت صديقي برغبتي هذه فقال
ادن من « الشيخ » يأخذ عليك البيعة بالطاعة لله ولرسوله ، ثم
يأذن لك باتباع وردنا ، وهو ذكر بعض أسماء الله الحسنى وصلاة
على سيدنا رسول الله واستغفار ، فقلت في نفسي كل هذا مما يدعو
له الدين فتقدمت وإذا بهذا « الشيخ » مطربش ، فلا هو معمم
كما يلقب ، ولا هو ذلك الشاذى بالشعر المرتجل والناطق بالعلم المنهمر
وإذا هو سيدى السيد « عبد السلام الحلوانى » المترجم له ، فبسطت
يدى إليه فبايعنى وما هو إلا أن تسارع كل الإخوان إلى وضع
أيديهم معى فوق يدى وعلى ظهرى وأمسك بعضهم ببعض وأخذوا
يرددون معى ما قاله لى سيدى الأستاذ فى هدوء وتؤدة وكال من
شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واستغفار ، وعزم

على التوبة ، وطرح المعاصي ، ومعاونة الفقراء والمساكين على قدر
الطاقة ، واتخاذ سيدي على البيومي وسيدي الشيخ أبي خليل
مشايخي في الروح .

ثم أعطيت ورقة مطبوع فيها بيان ما يطلب اتباعه ، فاسترشدت
بها وسرت في أوراد الطريق قدر المستطاع ، وبقيت أتردد على
مجلس الإخوان حتى فرغ الاحتفال بالمولد ، فمكثت سنة تامة
ملتزما أوراد الطريق ولا أعلم من أمر هؤلاء السادة شيئا ، وكنت
أزداد إليهم شوقا يوما فيوما حتى دار الزمن وعادوا للاحتفال
بالمولد ذاته ، فقابلتهم على شوق شديد وتعرفت على بعضهم
وصادقتهم ، وعلمت منهم أن سيدي الأستاذ عبد السلام الحلواني
يقيم بالإسكندرية حيث هو يعمل بدائرة طوسون باشا ، فبدا لي
أن أراسله فما كاد يصله كتابي الأول حتى رد عليّ بكلام هو
السحر الحلال - مما سترى فيما بعد - وكنت أزداد به تعلقا وإليه
حنينا كلما مرت الأيام ، وكنت أعد الأوقات لرؤيته وأرجوها في
كل وقت ، ولحسن حظي كان يتردد كثيرا لزيارة أسرته إذ كانت

فى مصر للاستشفاء ، فكنت ألقاه وأسعد بصحبته مع إخوانى
فى زيارته لآل البيت ، ثم نقل إلى القاهرة كما قدمت فزاد
اتصالى به ، وكانت تتكشف لى فضائله وكمالاته رويدا رويدا حيث
كان رضى الله عنه يخفى من أمره كثيرا تواضعا لله ، وكان رضى الله
عنه يوسع لى من عطفه وبره . عن فضل منه لامنى . ما سأذكره
على الدوام ولا أنساه ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه :
تذكرت والذكرى تهيج لندى الهوى

ومن عادة المحزون أن يتذكر
ولا تزال رسائله الكريمة عندى أحفظها وأعزّ بها ، وسأقلها
إلى إخوانى فى هذه الرسالة لينتفعوا بما تضمنته من حكم كما انتفعت
وليشموا عبقرها فتنتعش أرواحهم انتعاش الزهر إذاخالطه الندى :
كم من يد بيضاء منك غرستها ثمراتها لبنيك أضحت مكسبا
(و) شئ من وصفه وسجاياه :

كان رضى الله عنه ، متوسط القامة ، متوسط اللون ، متوسط
الحجم ، ذا وجه مستدير ، جميل الحيا ، أقى الأنف ، بهى العينين ،

يلبس ملابس الأفندية ، ويستعمل النظارة ، ويتختم بالفضة في
 خنصره ، وكان خاتمه ذا فص من الفيروز ، وكان يمسك عصا ،
 وكان يحلق ذقنه ولم يرسلها إلا في أخريات حياته ، وكان ذا مهابة
 ووقار يلسمهما فيه من عرفه ومن لم يعرفه ، وكان ذا تؤدة في
 حركاته وفي كلامه ، وكان إذا سار مع الإخوان سار بينهم ، فإذا
 رأهم تباعدوا وقف حتى يجتمع شملهم ثم يستأنف المسير ، وكان
 يؤنسهم بلطف يشملهم جميعا حتى يظن كل منهم أنه أدنى
 الإخوان إليه منزلة ، وكان يحب أن يشاركوه في طعامه حتى أن
 مائدته كانت لا تخلو من بعضهم .

وكان رضى الله عنه عالما عملا حليما كريما راجح العقل جلي الفكرة
 عذب اللسان ، ثابت الجنان ، سليم الوجدان ، حاضر البديهة ، لطيف
 النكتة ، جميل العشرة ، ينضحك إذا أراد بالنظرة ، ويفهمك
 بالإشارة ، وكان يبدأ أصحابه بالجميل ويعفو عنهم في التقصير ، ويعتبر
 عليهم بحسن التعبير ، وقد أهله هذه الصفات لأن يكون محبوبا

من جميع عارفيه على اختلاف مشاربهم بل وأديانهم ، وكان إلى تفوقه في العلوم الدينية علما بشتى الشؤون ، خيرا بالحياة حتى أنك لا تفتح له باب الكلام في موضوع حتى تراه من أعلم الناس به . « فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » .

وكان رضى الله عنه نشيطا في عمله الدنيوى دقيقا فيه ، يديره بمهارة فائقة وكفاية عجيبة حتى كان المشاهد له في عمله ينقل عنه كثيرا من حسن تصرفه ، وكان مع لطفه ولين عريكته لا يقع فريسة لمكر الماكرين بل كان يأخذ حذره ويقتضى حقه كاملا ، ولقد رأيت ذات مرة يحاسب أحد البنائين على الطوب ويسأله كيف لم يكتف به مع أن المبنى لا يمكن أن يتجاوز الطوب الذى أعد له ، وما هو إلا أن اعترف البناء بأنه زاد فى ارتفاع الجدار بناء على رغبة أبداها أحد المرءوسين ، فتمال له أستاذى رضى الله عنه : إنك خالفت تعليماتى وأنت المسؤول عن هذه المخالفة وليست الدائرة ، ووجه اللوم للموظف الذى تعدى حدود اختصاصاته .

وكان كثيرا ما يقوم على خدمة أصحابه بنفسه ، ويدخل عليهم السرور ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وكان يعطف على فقراءهم ويواسيهم ويدنيهم من مجلسه ، ويدفع عنهم نفقات الانتقال إذا سافروا معه . وكان في أسفاره لا يستريح حتى يطمئن إلى راحة رفقاءه جميعا ، وكان إذا أكرمه الله بكرامة وحدثه بها أحد أصحابه قال له « هذه صدفة » وكان لا يتحدث عن نفسه ولا يجب أن يتحدث عنه أحد ، بل رأيت ذات مرة يطالب من بعض الإخوان أن يكف عن إلقاء قصيدة فيها مدح له . وقلما كان يمر بقلب أحد الإخوان خاطر إلا هس في أذنه بالإجابة عليه من غير أن يشعر الآخرون ؛ وقد استفادوا من هذا التأديب كثيرا .

وكان رضى الله عنه كثير التعفف حتى عن أقرب الناس إليه ، فكان لا يقبل أن يدفع عنه أحد الإخوان شيئا كما كان يحمل متاعه بنفسه ، فإذا هم أحدهم بحمله قال له صاحب الشيء أحق بحمله ، فإن جومل مرة رد الجميل مضاعفا .

وكنّا نرى منه رضى الله عنه تصرفات نستطيعها ولا نعلم أنها

من السنة فإذا طالعنا السنة النبوية وجدناها منها فترداد محبة فيه
لحرصه على اقتفاء السنة الشريفة في العبادات والعادات ؛ من ذلك
مثلاً أنه كان يخلع نعليه عند الطعام . وقد حدثني رضى الله عنه
أنه كان يحرص على تلك العادة حتى فى دعوة سمو الأمير له
حيث كان يخلع النعلين بمعاونة قدميه لبعضهما البعض ، وكان
يتخذ من أجل ذلك نوعاً من الأحذية مما يسهل خلعها ؛ وأخبرني
رضى الله عنه أنه رأى مرة فى المنام أن أناساً يعترضون المارة
ولا يسمحون لهم باجتياز الطريق فلما دنا منهم خشى أن يمنعوهم
كما منعوا غيره فسمع كبيرهم يقول لهم لا تمنعوا هذا القادم من المرور
لأنه يحافظ على سنة خلع النعلين عند الطعام .

وكان رضى الله عنه يتفقد الإخوان ، ويسأل عن غائبهم ،
ويعود مريضهم ويدعوه بين الإخوان بالشفاء ، وكان يعز عليه
ما يشكون منه ويعينهم بالرأى والمال والجاه . وكان الإخوان
يستشيرونه فيشير عليهم بما يرى ، وفى كثير من الأحيان يستغربون
الرأى الذى يشير به فى أول الأمر ثم لا يلبث أن يتبين لهم

رشدہ ونجھہ وحسن عاقبتہ . وكان الحازم منهم لا يراجعہ بل يأخذ بما يشير به لأول وهلة من غير جدل ولا مراجعة .

ومع أنه كان يستشار من كل الإخوان في مهام شؤونهم العامة والخاصة كان رضى الله عنه لا يستنكف من استشارة غيره ممن يأنس فيهم أصالة الرأي ليعود الإخوان على المشورة وليقتفى أثر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأذكر أنه رضى الله عنه استشارنى مرة في أن يطالب من سمو الأمير إحالته على المعاش ويقصد المدينة المنورة فيقيم إلى جوار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية عمره فقلت له : إن رسالتك يا أستاذى التى تؤديها هنا رسالة محبوبة إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم مع بعد الشقة متصلون به بالحبة ثم أنشدته شطرا من بيت لشادينا المبارك فضيلة الشيخ على عقل * وكم من بعيد ولكن قريب * فنظر إلىّ وابتسم وقال هكذا قال لى غيرك .

وكان رضى الله عنه يجب أن يأكل من كسب يده حتى أنه بعد أن أحيل إلى المعاش استأجر أرضا وزرعها واقتنى

ماشية تدر اللبن فكان يكسب من هذه وتلك أكثر من الفرق بين الماهية والمعاش . وكان يكره البطالة وينهى عنها إخواننا حتى لا يركن أحدهم إلى الكسل ، وكانوا جميعا يقلدونه في النشاط واكتساب العيش بالجد والمثابرة فإذا أقبل الليل جدوا كذلك في كسب الطاعة وادخروها لمعادهم .

وكان مع سخائه وبذل ما في يده يكره أن تستشرف نفوس الإخوان لمتاع غيرهم وكان يضرب لهم المثل العملي في ذلك ، فكثيرا ما رأيناه يرفض من أحبابه ما يعرضونه عليه كهدية فإن طابت نفسه لقبول شيء أسرع في الإثابة عليه . وقد أعجبه قلم كان معي فحاولت إعطاءه له ليستعمله فأبى كل الإباء ثم رآه بعد ذلك في يد بعض الإخوان فقال له هل أخذت هذا القلم من فلان؟ قال إني استعرتة لاستعماله فقال له عند انتهائك من حاجتك إليه رده إلى صاحبه فامتثل فقلت له إن نفسي طيبة بأن تأخذه فقال إن أستاذي أمرني برده ولا بد من تنفيذ أمره .

وكان رضى الله عنه يجيب دعوة الداعي مهما صغر شأنه

إذ يرى في ذلك إدخالاً للسرور عليه .

وكان رضى الله عنه يحب تألف الإخوان وتوادهم ويشجعه ويفرح به ، فكنت أصحب الأخ الصالح التقى الأستاذ حسن محرم (مفتش أوقاف مغاغة الآن) في غدواتي وروحاتي فلقبنا بالحسنين ، وكان إذا كتب إلى أحد إخواننا من الإسكندرية يقول له وسلامي إلى الحسنين .

وكان رضى الله عنه يحب أن تظل صدور الإخوان نقية ولذا كان يدعوهم إلى التصافى والتسامح ، وكان يضرب لهم المثل العالى فى الصفح الجميل بل وفى الإحسان إلى من أساء إليهم .

وكان رضى الله عنه لا يعبأ بالتفاف الناس حوله أو بانفضاضهم وقد سمعته مرة يقول : والله لو أن معى خمسين ألفاً انفضوا فى لحظة واحدة ما عبأت بهم لأننى مع الله ملك الملوك ، وقد تأثرت بكلمته هذه تأثراً كبيراً لأن كلماته كانت دائماً ذات وقع شديد على القلوب ، شأن الصادقين مع الله .

وكان رضى الله عنه مع بسطة عيشه فى منزله وحسن رياشه وطيب طعامه ، يتنقل فى الأرياف ، ويتحمل التعب فى نومه وطعامه وشرابه وسائر أسباب الراحة ، لا يبتغى من هذا إلا وجه الله وكان مع ذلك يشعر الداعى بأنه وجد عنده كل الراحة .
وكان رضى الله عنه لا يطيل الإقامة فى أية زيارة إذ كانت لا تزيد عادة عن ليلة وكثيرا ما كانت تكون لساعات من الليل ، وقد صحبته مرة فى زيارة لأدكو قننا لها من الإسكندرية عصرا وعدنا بعد منتصف الليل مع بعد المسافة إذ تبلغ نحو ستين كيلو ، وكذلك زرنا رشيد وأبا المطامير وهما - أبعد من أدكو - وعدنا فى نفس الليلة (نحو سبعين أو ثمانين كيلو) .

وكان رضى الله عنه يحب صدقة السر ويدعو إليها . وكان فى بعض الأحيان عند زيارة مشهد من مشاهد آل البيت يشتري السكر ويتصدق به على الصبيان الصغار ، وسألته مرة فى ذلك فقال لى مبتسما «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» وأنا أحب السكر ؛ وأعجب من هذا أنه كان يوصى بعض

الإخوان بشراء بعض السكر والتصدق به عنه في مثل هذه الزيارات .

وكان رضى الله عنه جميل الفكاهة ، ولا يخرج جملها عن كمالها ولا عن وقاره ؛ وأذكر على سبيل المثال أنى صحبته مرة لأدكو وصحبنا أحد أصدقائى الأفاضل وكان اسمه محمد الحلو (مدير إدارة الضرائب بينى سويف) وكان الداعى لنا اسمه الشيخ سعد أبو حلو (كان من أفاضل الصالحين عليه رحمة الله) فلما أخذنا مجلسنا بمنزل الداعى والتف حولنا كثير من الإخوان أخذ يعرفهم بنا ، فبدأ بصديقى فقال حضرته محمد أفندى الحلو وحضرته الشيخ سعد أبو حلو وأنا الحلوانى فضحك الجميع لهذه الفكاهة الطريفة .

ودعوته مرة رضى الله عنه مع نفر من إخوانى إلى طعام وكان فيه خبز رقيق من صنع الصعيد ، فتعجب بعض من لم ير هذا الصنف من رفته وقالوا لسيدى الأستاذ كيف يجبز مثل هذا الصنف بهذه الرقة ؟ فنظر إلى رضى الله عنه وايتسم وقال :

يسائل عن خبزنا كيف رَقَّ كَرَقَة دمع المشوق الدَّمْع
 فقلت حلال وقد قيل قَدَمَا يرق الحلال ولا ينقطع
 فاستعدته رضى الله عنه فأعادهما وعمنا السرور واستبشرت
 بهذه البشرى ، ثم أخبرنى رضى الله عنه أن البيتين من شعر والده
 وأنه قالهما فى مناسبة كنتلك المناسبة .

كما أذكر أيضا أن طبيبا عاده فى مرض شديد ووصف له
 دواء كان نادر الوجود بسبب ظروف الحرب فخرجت (وأخى الصالح
 السيد حسين محمود مفتش الضرائب) للبحث عنه فعثرنا عليه
 بسهولة فعدت به مسرعا وكان فيه بإذن الله الشفاء ، وما كدنا
 ندخل عليه بعدها معا حتى ابتسم وقال :

يا جزى الله صاحبيّ جميلا صححا لى نصحا به صح حالى
 قربا لى ذاك الذى وصفا لى وصفا لى ذاك الذى وصفا لى
 والبيتان لوالده أيضا رضى الله عنهما .

وكان رضى الله عنه حليما ، قليل الغضب جدا ، وإذا غضب

فلا يغضب إلا الله ، ولذلك وصفه عالمنا المبارك فضيلة الأستاذ الشيخ على عقل بأنه قريب الرضا بعيد الغضب .
وكان رضى الله عنه يحب الصالحين جميعا ، ولا يتعصب لأهل طريقته دون غيرهم ، وكان يكره أن يتعادي أهل الطرق المختلفة ، ولذلك كان يسعى دائما إلى تصفية الجو بينهم ويذكرون ذلك له بالفضل والتقدير والإعجاب .

وإلى القارئ مثلا من ذلك ما كتبه السيد الصالح على أفندى أحمد أبو النظر نائب مشيخة الطرق الصوفية بالإسكندرية عند ما علم بوفاة .

«حضرة الأستاذ الفاضل الحاج عبد المنعم أفندى :

قرأت فى مقطم أمس نعى المغفور له والدكم الراحل الكريم ، فخرنت أشد الحزن وأسفت الأسف العظيم . فقد كان رحمه الله رحمة واسعة ، وأفسح له جنات النعيم ، الأخ الشفيق الرحيم ، والصديق الوفى الحميم ، والمحسن الصادق الأمين ، والناصح الفذ المبين . وكانت له اليد الطولى فى الإصلاح والتوفيق بين الطرق الصوفية وبخاصة

الطريقة الخليلية البيومية ، فقد بذل في هذا الميدان الديني الفسيح من عظيم الجهود ومحمودها ما يستحق عليه أجل الثناء والمديح . وكان على جانب كبير من عزة النفس وإباءها ، وكرم الأخلاق وسموها ، وكان موئل البائسين وملاذ المحتاجين ، ومورد الإخوان الصوفية وقدوة الصالحين من رجالات عهده وزمانه ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه ، وألهمكم وإخوتكم وأسرتكم الكريمة جمعاء جميل الصبر والسلوان . إنا لله وإنا إليه راجعون»

الخلص

على أحمد أبو النظر

١٩٤٤/١٠/٢٨

وكان يجب أن يلتزم المريد مشربه من أستاذة مع الحبة والحفاظة على الآداب الإسلامية مع الجميع . وأذكر أنه مدح لى أناسا من أهل الفضل في الدين من ذوى الطرق الأخرى ، فشهد لبعضهم بالولاية وشهد لآخر بأنه مأخوذ في الله ، كما أنه رضى الله عنه طلب منى مرة أن أسأل بعض الصالحين الدعاء له بحفظ الإيمان كلما قابلته فنفدت رغبته ، فكان ذلك الصالح يقول : أسأل الله

أن يحفظ عليه وعلينا الإيمان ، وفي هذه المناسبة أذكر ما رواه لي
 رضى الله عنه من أن بعض الصالحين كان يلقاه ويسأله الدعاء ،
 فكان يدعوه سيدي الأستاذ قائلا : الله يقوى إيمانك فيرد
 ذلك الصالح قائلا : ويحفظه كما ياسيدي ؛ كما أذكر أن بعض
 المجذوبين في الله قابل سيدي الأستاذ من غير معرفة سابقة فقال
 لسيدي متفكها معه : إيه يعنى يا سيدي إمام ناس ، كما أن
 مجذوبا آخر رأى سيدي في مجلس الذكر بمولد سيدي إبراهيم
 الدسوقي رضى الله عنه فشده من الحلقة وأوقفه في وسط المجلس
 ليديره ، ولا يخفى أن أهل المعرفة يرون بنور بصائرهم ما لا نراه نحن
 بنور الأبصار .

وقال لي مرة رضى الله عنه : لقد سمعت النداء من جوفى
 ينادى بلفظ الجلالة ، وقال لي مرة أخرى : مرّ بي حال كنت ألقى
 الشخص فيلقى في روعي اسمه واسم أبيه واسم أمه وأرى بينه رأى
 العين فسألت ربي أن يحجب ذلك عني حتى لا يداخاني الغرور .
 ودخلت عليه رضى الله عنه مرة قبيل الأصيل فوجدته جالسا

على سريره فنظر إلى وقال: إذا كان الواحد يرى الحق جل وعلا
بلا كيف ولا حصر ، وكأنه نور في نور ويقول أنا أغفر لعبدى
ولا أبالى ، ثم استطرد رضى الله عنه قائلا: وصحيح هايبالى من مين.

(ز) أسلوبه ورسائله :

كان أسلوب سيدى فى الكتابة من السهل الممتنع ، لا عن
تكلف ، ولكن عن سجية وإلهام ربانى ، حتى إنك لتجد
لكلامه على سهولته رنة فى قلبك كما ترى من النماذج الآتية .
ولعلك تعجب إذ علمت مما تقدم أنه لم يتم تعليمه لوفاة والده ،
ولكن لا تعجب فأمثال سيدى ميسرون لما خلقوا له من الدعوة
والإرشاد إلى الله ، ولا ترى لسيدى رسالة خالية من نصيح جميل
فى كلمات رقيقة تتم عن اتصال بالله ورسوله ، والله يؤتى فضله
من يشاء .

وإنى ناقل لك رسائله التى تفضل فبعث بها إلى ، وهى محفوظة
عندى على الدوام أعتز بها وأحرص عليها ، وتدعونى الأمانة إلى

نقل نصوصها كاملة وإن بدا فيها امتداحي ، فقد قدمت لك أنى كنت محل عطفه عن فضل منه لا منى .

وسأتبع الرسائل ببعض كلام له فى الروح والنفس ثم أعقب ذلك ببعض دعوات له وهى جميعها مكتوبة بخط يده ومحفوظة عندى .

أولاً — الرسائل :

١ — رسالة من الإسكندرية بتاريخ ٢٨ يوليه سنة ١٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوليِّ الحميد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله النبي الشهيد ، وعلى آله وصحبه أهل الرأي السديد ، ورضى الله عن شيخنا أبى خليل ونجمله وعترته ومن تبعهم إلى يوم الوعيد .

وبعد ، فقد دنا الوقت ولا محيص عنه ، وستبلى بشاهدين ، ويقضى الله أمراً كان مفعولاً ، وخذ لك موعظة حسنة من الأولى ويكفيك الأمر فى الثانية « وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ

حِينَ تَقُومُ» وتقلب في الذاكرين ، وكن معهم ذا كرا شا كرا ، ولا يهملك أمر الدنيا فإن السعة هي الرضا «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»
وانهج منهج أهل اليقين ، فسيكون لك شأن كبير وتستفيد في
الصحة إذا ذهبت ، فاستفد بالتقوى إذا أقمت ، ولك رؤية من بعد
رؤيا ، ولك حجة من بعد عدد معلوم . وقد يكون بعيدا وتراه
قريبا ، والبعيد قريب ، والله مجيب ، وسلامة الأمر في عدم الجهر
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ
الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ » فكن مطمئنا بلا طلب
للرؤيا التي طلبها سيدنا إبراهيم وإن كنا لانسأى في جانبه شيئا
من التمثيل به ، ولكن ربك رب الكون الذي خلقه ودبره ،
وقام بأسبابه من غير سبب ولا إزام ، فإذا فزت وقرت عيناك
فاشكر الله والصبر أولى ، ولا تذهب نفسك عليهم فإنك إنما تنتظر
نفاذ القضاء ، وما قضاه لك خير كبير ورزق كثير ونعمة وافية وقلب
راض . « وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » والوالدان
الوالدان قضى ربك بما لا ينبغي أن أذكرك به ، ولا بد من الوفاء

والصفاء ، ويعود العود رطبا ، والحب لله أكبر كل أمر ، وهو
الولى الحميد .

يا حسن أنت حسن وحسن ، وقد روى بسند حسن عن
الحسن البصرى عن الحسن السبط عن أبي الحسن على بن أبي طالب
« أَنَّ أَحْسَنَ الْحُسَيْنِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ » ويكفيك فى خلقك أنك
أحسن الحسن فكان مسرورا دائما ، وإن لم تجده فاخلقه فى
نفسك لتفوز ، وكن مع أهل الحقيقة وابحث عنهم بحث الباحث
عن حق يرجع إليه لنفسه فقط .

الخلص

والسلام عليكم ورحمة الله

عبد السلام الخوانى

١٩٣٠/٧/٢٨

وهذه الرسالة كما ترى جمعت بين تبشير وتذكير وتوجيه
وفكاهة ، وقد تيسر لى الحبح الذى بشرنى به فيها على غير ترتيب
أو انتظار ، وذلك فى سنة ١٩٣٤ ، وهكذا تحقق قوله رضى الله عنه
(وقد يكون بعيدا وتراه قريباً) .

٢ - رسالة من الإسكندرية بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيزى الكامل حسن بك كامل ، أدامه الله وأبقاه
ومتعه بالصحة والهناء .

إن باء بنعمة الإخلاص إليك إنسان فقد يكون هذا الضعيف
الذى يضرع إلى الخالق البارئ أن يهبنا الإخلاص الكامل ،
والقرب الشامل ، وأن يتمتع بالصحة والعافية والهناء ، وأن يصلح
لنا ولكم الوقت وحسن الحال ، وقد آلمنى ألمك الذى رافقتك من
سفرك ، شفاك الله وعافاك ، واحترس من هواء الخريف ، فإنه
لطيف ، ولا يخاف إلا من اللطيف كما قال بعض الحكماء .

احذر أخى هوى الخريف فإنه مستعذب مستلطف خطاف
يجرى من الأجسام جرى عروقها بلطافة ومن اللطيف يخاف
هذا وإن أشكرك على تفضلك بالتحريم ، فقد يقال شكر
فاعتبر غير ما هو واجب ، إذ واجبنا اعتبار السؤال من واجبات

الأُسرة ، وأنت منا ونحن منك فلا شكر على واجب ، وإنما غایتنا الاطمئنان عليك ، وعليك السؤال عنا .

أما عن الدنيا وما فيها ومن فيها فدعها بما فيها لمن يدبرها فيوفيهما ، وفيها ما فيها ، لأنك إن دبرت وصح التدبير ، وهو مطلوب شرعا فلا تدري كيف قضى فيه ، فإن صح القضاء بالرضاء فهو القضاء ، وإن حصل الجفاء سألناه اللطف في القضاء ، مع الرضاء على أنه الرضاء ، ولا تخف فالرضاء حاصل وأنت كامل والحقوق لأربابها والزمان له دورته .

وسيتم لك ما تريد مادمت مع الله وقضى ربك ، وأنت ذو مزاج ظريف فحافظ عليه فإننا نريد لك الأُنس والسرور ، ويدوم إن شاء الله وتأنس ويؤنس بك ويتم لك الصفاء والوفاء ، وأرجوك أن تتقبل سلامي وتحياقي الخالصة من القلب والروح وسلامي للسيد الوالد والإخوة المخلصين ، أدامكم الله وأرانا وجهك قريبا في خير وسرور .

المخلص

عبد السلام الحلواني

فأنت ترى من هذه الرسالة : مبلغ عطفه الأبوى وبراعة التوجيه إلى الله في التورية الواردة في قوله « ولا يخاف إلا من اللطيف » وجمال التواضع بين أستاذ وتلميذه . أما النصيحة التي ختم بها الرسالة فهي تنطق بجمال الحكمة المودعة فيها ، ولقد ذكرتها لأحد كبار العلماء في حديث لى معه عن حكم الصوفية ، فأخذته نشوة غريبة وقال : أعد علىّ كلام أستاذك العظيم ، ففعلت ، فما كان منه إلا أنه أخرج ورقة من جيبه وقال : أمل علىّ وكتب فعلا هذه الدرر الغوالى .

٣ — رسالة من الإسكندرية في ٥ يناير سنة ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيزى المحترم حسن أفندى كامل ، أدامه الله :
تحية وسلاما وشوقا كثيرا كثيرا .

و بعد : فقد ورد خطابكم الذى لم يزدنى شيئا على ما أتحققه في شمائلكم الكاملة ، وذلك الإخلاص الصادق ، وتلك الروح الطيبة النقية الطاهرة ، وإنما زودنى من نوره المشرق بما أملتته

تلك الروح ، وذلك القلب الممتلئ إيماناً و يقيناً - شوقاً إلى رؤيتكم
فانتى كنت أتمنى أن أحظى بمجلسكم كثيراً كثيراً ، لأمتع الروح
بتلك الوجوه الساطعة من إشراق قلوبها بنور المحبة واليقين ،
ولكن هي الظروف ، وهي التي تجري بالقدر ، والله بديع
السموات والأرض هو المقدر ، وقد رضينا بما يجري به القضاء ،
أسأل الله أن يرينا وجهكم في أسرّ الأوقات وأسعد الحالات .

أما هذه المسألة التي أخبرتموني بها فلها ظروفها ، والله هو
المدير ، فليس لنا في الأمر من شيء ، إنما هي آمال ، ولو اطلع
أحدكم على الغيب لأختار الواقع ، واختيار الله لنا خير مما نختاره ،
إنما هي أسباب يدفع الله في قلوبنا طلب اتخاذها لينفذ
أمره ، و :

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المطالب
هذا وسلامي للأشقاء ، والإخوان المخلصين خصوصاً
حسن أفندي محرم والشيخ محروس وتقبل تحياتي وسلامي
وسلام إخواني خصوصاً الشيخ على عقل الذي كان عندنا

بالأمس ويسافر اليوم . أدامكم الله ومتعكم بالصحة والهناء
والسرور ، وكل عام وحضرتكم بخير . وسلامى الخاص مع الشوق
الوافر لحضرة السيد الوالد .

الخلاص

١٥ شعبان سنة ١٣٤٩ عبد السلام الخاوانى

ولا يخفى عليك ما فى هذه الرسالة من توجيه للتفويض المطلق
لله مع الأخذ فى الأسباب الظاهرة . ثم انظر إليه وهو يعبر عن
تلاميذه « باخوانى » .

٤ — رسالة من الإسكندرية فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيز القلب والروح ، حبيبي حسن أفندى كامل ،
حرسه الله وأمدّه بمعونته .

أهلا وسهلا بكتابك القيم الذى أزال وحشة البعد خصوصا
وإني لم أحظ هذا الأسبوع ببلقائكم ، وقد أصبح القلب يحن إلى

اللقاء دائماً لتتمتع الأرواح بلقاء الأشباح، وإن كانت مجتمعة، فله
درك، والله كتابك هذا، وأسأل الله أن يمنحك التقوى الثابتة
والقوة وسعادة الدارين .

أهديك تحياتي القلبية وسلام الإخوان جميعاً خصوصاً
الشيخ على عقل فإنه عندنا الآن، وأرجو إبلاغ سلامي وشوقي
لحضرة السيد الوالد، وله جزيل الشكر الوافر على تكلفه هذا
السعي، جزاه الله عناخيراً، ثم سلامي للإخوة الكرام، ثم لجميع
الإخوان خصوصاً الشيخ محروس حبيب الطرفين .

وتقبل تحياتي وعاطر تسليمتي وشكري الخالص ودمتم .
الخلص

عبد السلام الحلواني

١٩٣٠ / ١١ / ٩

٥ — رسالة من الإسكندرية في ٢٩ يوليو سنة ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة ولدنا العزيز الفاضل حسن أفندي كامل .

أما الشوق فكثير جداً، وذكره أن له قلب يشعر من باب

تحصيل الحاصل، فتقبل سلاما من قلب تحنّ روحه إليكم فتهديكم
تحيات تليق بروحكم الطاهرة الطيبة .

وصلنى خطابكم وأعتذر فى تأخير الرد فإنى متأخر ...
كما تعلمون ، ولكنى تعودت السماح . أما رحلتكم المباركة فقد
سرتنى جدا . وأما الإذن فليدركم من زمن وإذا أردته رسميا
فانتظروا حتى أحضر وأطلب لكم إجازة رسمية من المشيخة .
وإنى أسأل الله لكم ولنا التوفيق والرضا، وأن يجعل وجهتنا إليه،
وأن يفتح لنا طريق الخير، وأن يمدنا بنور من نور نبيه المصطفى
صلى الله عليه وسلم حتى نسلك سبيله القويم، وأن يجعل فرحنا به
خير ما نلقاه به يوم القيامة ، إنه سميع الدعاء .

أما حسن أفندى محرم فأبلغه تحياتى وأشواقى ، وقد بلغنى أنه
كان بالإسكندرية فلماذا لم يقابانى ؟ إذا كان لعذر فمقبول ،
وإن كان لذنب منى فأستغفر الله وعليه السماح . وعلى كل فإنه
حسن وفعله حسن .

ولا تؤاخذنى فى هذا الاقتصار . والمهم أن تتقبل تحياتى
وأن تعلم أن مسكنك القلب ، فلا تنسى من الدعاء كما لا أنساك .
وسلامى للسيد الوالد والإخوة والإخوان والمحبين ، ودمتم .
٢٩ يوليو سنة ١٩٣١ المخلص

عبد السلام الحلوى

ورقة شمائل سيدى الأستاذ تتجلى فى تلك الرسالة، فهو يعتب
على بعض الإخوان ويلتمس له العذر فى الوقت ذاته، ثم يختم
بمدحه . ولا أكتمك أنى ما فرحت بشيء كفرحى بقول
سيدى ولدنا فلان ؛ وما أعزها من أبوة ولله در القائل :

أقدم أستاذى على حق والدى
وإن نالنى من والدى العز والشرف

فهذا مربى الروح والروح جوهر
وذاك مربى الجسم والجسم كالصدف

٦ - رسالة من الإسكندرية في ٢٥ أكتوبر ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيزي المحترم حسن أفندي كامل ، أدامه الله
وأحياء حياة سائغة هنية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إن قلت لكم أنا مشتاق
والشوق شديد فليس هذا معنى ما تقاسيه الروح من ألم ذلك
الشوق ، إنما أترك الأرواح تتناجى ولها الله سبحانه وتعالى ،
وهو الذى يعلم السر وأخفى . ثم لا تظن أن تأخيرى عن الرد
جاء عن قصد ، كلا وربك إنما هو عذر منع الكتابة فقط
ولم يمنع الروح عن اتصالها بكم ، أو على الأقل تضرعها إلى الله
تعالى أن يرضيكم عن هذا التأخير ، وأن يجزيكم عنا أحسن الجزاء .
أما عن تخييركم الإقامة فى حى السيدة زينب فإنها نعمت
الخير ونعمت الخير ، وهل تكون خير أحسن من تلك الخير
خير أهل البيت ؟ ولك حق الجوار: الرحمة والبركة واستدرار الخير

من الرحمن الرحيم الذى يكرم آل البيت ويكرم من يجاورهم ،
ومن جاور السعيد يسعد ، فنعم ما فعلت .

هذا وأرجو إبلاغ سلامى للأشقاء الأعزاء ، ثم لحضرة
محمود أفندى صاحب الأجزخانة ، ثم للإخوان الأعزاء خصوصا
حضرة على أفندى السيد وحسن أفندى محرم ، ولعله مع مواصلة
المذاكرة لا يترك زيارتكم وزيارة الإخوان وزيارة آل البيت
على الخصوص ، ففتح الله علينا وعليه ، وزودنا جميعا بزيادة التقوى ،
ورزقنا وإياكم البركة فى الوقت والزيادة فى الدين وبسطة
فى العلم والجسم .

ثم السلام لصاحب الروح الطيبة العالية إبراهيم أفندى زكى
وبينى وبينه بينة على أمر تبين له فبان ، وبان له وسطع الحق
وانتصر « وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ » ، ثم السلام لجميع
الإخوان فردا فردا فلا يؤاخذوننى فى الإجمال فإن لى معذرة الآن
والقلوب أكبر برهان .

والسلام عليكم ورحمة الله ، وسلامى الخاص لحضرة السيد
الوالد ، ودمتم .

الخلص

عبد السلام الخوانى

والرسالة كما تراها تفصح عن سموّ الأدب وجمال التأديب .
٧ - رسالة من الإسكندرية فى ١١ نوفمبر ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيز الروح الأديب الفاضل حسن أفندى كامل ،
حفظ الله مهجته وأدام عليه محبته ومنحه رحمته .

إن استعراض النفوس يحير الأبواب ، ويفتح بابا وراء ألف
حجاب ، لا يعلم ما وراءها إلا واهب الأبواب طريق الصواب ،
فإن كشف الحجاب لبعض الأحباب رأى تدير القادر الحكيم
وقال : لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فإن أنا
أبصرت فلا أبصر إلا من ضوء روحك الطاهرة الطيبة التى
ينعكس نورها على قلبى الكثيف فىرى قلبك التقي السليم فيحمد
الله سبحانه وتعالى على ذلك الإخلاص الذى يدين به قلبى فيدعو

الله سبحانه أن يديم عليكم نعمته ، وأن يرزقكم الحسنى وزيادة ،
وأن يجعلنا جميعا من عباده المخلصين ، الذين لا يرون سواه ،
فتقبل سلامي وشوقي وأبلغ تحيات روحي لسادتي الإخوان
الأعزاء خصوصا سيدي على أفندي السيد ثم الأشقاء ، ثم حضرة
الرفيق العاطفة الكريم الأصل إبراهيم أفندي زكي ثم لأخيكم
حسن أفندي محرم ، وإن صبري عليه صبر من ينتظر له النجاح
والفلاح وقل له القوة في الختام والنجاح بالخاتمة والسلامة في
الإسلام ونوال المقصود بالركون إلى الكريم الرحيم العليم العلام
وإن زاد ترك العباد واشتغل بنفسه وعمله مع الله ولازم من لازمه
على ذلك فالله بصير بعباده ، ثم لا تنس إبلاغ السلام لكل
شخص بمفرده وأنت جدير بالتخصيص فقد أجهلت أنا ارتكنا
على قيامك بذلك فلا يعتب عاتب ولا يغيب غائب وليس عندي
بغائب . وتقبل أنت تحياتي وإخلاصي وشكري على موالاتك
بالتهجير ، والله يجزيك عنى أحسن الجزاء ، وسلامي للسيد الوالد ،
المخلص
ودمتم .

عبد السلام الحلواني

ولم يكن أدبه في مكاتباته خاصا بأحبابه وتلامذته بل كان يعامل أولاده معاملة الصديق للصديق ويعلمهم الأدب والتواضع بأدبه ، ولقد رجوت من نجله الأستاذ أحمد عبد المنعم أن يطلعني على بعض مكاتباته له فلم يجد إلا قليلا منها لمناسبة الحج ، وهامى كما طالعتها بخطه رضى الله عنه :

١٩٣٧/٢/٥ وكان في الحج للمرّة الثانية :

حضرة ولدنا العزيز عبد المنعم بك حفظه الله .

أبحرنا من السويس وقلوبنا معكم فالله لكم وقد دعونا بقلوب حارة أن يبلغكم مرادكم ، وقد أحرمتنا اليوم الجمعة بعد الظهر ودعونا لكم عند التلبية وفرقنا كتابكم النفحات فكان الكل يدعوا لكم بخيروا كر الساعة (٨) إن شاء الله نصل جدة وتتوجه إلى مكة ندعوا لكم في الطواف ونكتب لكم من هناك فلا تنسنا من الدعوات ، وتقبل تحياتي وسلامي الحار وسلم على الآل والأنجال وفقكم الله سبحانه وتعالى لما يحبوه ويرضاه وبارك فيكم ووسع عليكم وقضى عنكم كل ما يشغلكم ورزقكم الهناء والسرور ودمتم .

والدكم

الحاموي

ولدنا العزيز حبيب القلب عبد المنعم أفندي عبد السلام
الخلواني ، حفظه الله وأبقاه ، وأدام عليه نعمة الإيمان ، ووسع
عليه رزقه ، وبارك له فيه .

السلام عليكم ورحمة الله من قلب مخلص يدعو الله لكم
في الحرم المكي في كل وقت ، وصلنا بعون الله وفضله وكرمه
إلى مكة المكرمة وطفنا وسعينا (نسأل الله أن يتقبل أعمالنا)
وقرأنا لكم الفاتحة ودعونا لكم بخير عند الملتزم ومقام إبراهيم ،
ودخلنا الكعبة وصعدنا من باب التوبة الموصول إلى ظهر الكعبة
ولكننا لم نبلغ الظهر لأنني من الخشية لم أستطع أن أبلغه ،
وفي كل هذه المقامات لم أنسكم مطلقا فكان لساني وقلبي يلهج
بالدعاء لكم ولإخوتكم وأولادكم ، وأنت تعلم دعاء الوالد لولده
خصوصا أنتم بلغكم الله مرادكم وتقبل دعاءنا لكم .

الحمد لله رب العالمين لم نلق تعباً في سفرنا قط ومن فضل الله
تعالى علينا أن سكنا في مدرسة داخل مباني الحرم فنحن ليلاً ونهاراً
ناظرين إلى الكعبة وإلى الطائفين بالبيت وهذا من نعم الله علينا ،
وسنقيم بمكة إلى الحج إن شاء الله ، وقد كنا عازمين على الزيارة

أولاً لولا توقعنا حضوركم مع سالم بك جمعه الذي يلهج لساننا دائماً
بالدعاء إلى الله أن يبلغه ويبلغكم مرادكم.

هذا ومن هنا الحاج محمود شبانه والحاج عبداللطيف
أبو الحسن والحاج محمد ناصف يسهلون عليكم ، أما كتابكم ففيه
بركة وقد تحاطفه الحجاج وكان البعض يلح في إعطائه نسخة
لولا نفاذ ما كان عندنا بارك الله فيكم وجعل عملنا وعملكم لله تعالى
وجعل وجهتنا إليه آمين ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

والدكم الداعي لكم

عبد السلام الخالواني

١٩٣٧/٢/٧

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة ولدنا العزيز عبد المنعم أفندي ، حفظه الله وحرسه
ونصره ووسع عليه وأنعم عليه .

السلام عليكم ورحمة الله سلاماً من قلب يدعو الله لكم دعاء
حاراً وروحى توقن بالإجابة إن شاء الله . أكتب لكم هذا وأنا
في الحرم المكي على أهبة طواف الوداع وسنقوم إن شاء الله اليوم

إلى المدينة المنورة ونعود منها إن شاء الله لنركب في الباخرة الثالثة التي تقوم من جدة يوم ١٢ أو ١٤ مارس سنة ١٩٣٧ وسنقوم بالأمانة التي حملتمونا إليها وهي دفع ٥ قروش لمن نظنه فقيرا جدا كما فعلنا بمكة ونبلع سلامكم لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وندعو الله لكم هناك .

أما رحلتنا فكانت سارة جدا وكنا موضع عناية كبرى من الجميع ، فخلالة الملك ابن السعود سمع الشيخ على وكان معه أمراء اليمن والعراق والشام والهند وسلطان بهرة وأمراء الغرب وأعيان مصر قاطبة (الحجاج) وكان موضع إعجاب الجميع وقد خلعوا عليه خلعاً سنياً وخصوصاً طلعت باشا حفظه الله ؛ أما محمود بك بسيوني فقد كان يلازمنا ويسكاديطير بالشيخ على وكان يقدمه في كل حفل ودعينا في جملة مآذب ؛ أما الملك ابن السعود فقد خلع علينا وعليه وعلى سالم بك كل منا بعباءة وشال وعقال وسهلوا لنا الأمور في السفر ، وهذا كله من فضل الله .

وقد وصلني خطا بكم وتأثرت مما ذكرته وكنت أدعو لكم في كل وقت .

أسأل الله القبول . أبلغ سلامي للآل والأنجال جميعا
أرانا الله وجهكم في أسرّ الأوقات، والسلام عليكم ورحمة الله .
والدك

مكة المكرمة ١٩٣٧/٢/٢٨ ١٧ ذى الحجة ١٣٥٥ الحلواني

حضرة ولدنا العزيز البار عبد المنعم أفندي الحلواني ، حفظه
الله وكفاه شر الحاسدين .

سلام قلبي وتحيات روحي وشوقها تهدي لحضرتكم وأسأل
الله لكم الهناء والاطمئنان والسعة ، وبسط العيش ، والصحة
والعافية وحسن العاقبة .

لعل الآل والأنجال جميعا بخير وعافية ، خصوصا منهم أحمد بك
والبزورة شقيقاته إخوتك بخير يقبلون الأيدي ويسألونك الدعوات
وكذا إخواني وأحبابي هذا وتقبل تحياتي ولا تنسني من الدعوات
ولا من المكاتبات لأطمئن .

والسلام عليكم ورحمة الله .
والدكم

الحلواني

القاهرة ١٩٣٩/٩/٢١

حضرة ولدنا المحبوب عبد المنعم أفندي الحلواني وفقه الله
للأعمال الصالحة :

تحية وسلاما وشوقا ، ورد خطابكم وفرحت جدا
بعزمكم على أداء فريضة الحج وشكرت الله تعالى أن أودع الشوق
في قلبكم الطاهر حتى همتم بعد العزم وبدأتم بالتنفيذ ، سهل
الله لكم السبيل وتولاكم في جميع أموركم وفي سفركم هذا وتقبل
أعمالكم ، فإذا وصلتكم إلى السويس تجدون هناك لو كددة بنك مصر
تبيتون بها ومن هناك تعلمون كيف تصلون إلى المحافظة وتؤشرون
على الجواز وعند مكتب التأشير على الجوازات تجدون محمد أفندي
عبد الباقي وهو يرشدكم إلى مكان يليق بكم في المركب وستجدون
الراحة التامة حتى إذا وصلتكم إلى جدة وانتهيت من الجمرات تطالبون
مطوفكم عبد الرحمن العطار ووكيله هناك يسهل لكم الوصول
إلى مكة المكرمة وعند الوصول تتوضئون ثم يقابلكم المطوف
وفي الحال تؤدون الطواف والسعي وبعض المناسك ثم تستريحون
أى تعرفون محل إقامتكم مع العلم أن الإقامة هناك غالبا في الحرم
الشريف إلا وقت الأكل والشرب وقضاء الحاجة. أما الاجتماعات

فغالبها في الحرم ، وكذلك التعارف وكل ما تجبه من الإرشادات والزيارات والغذاء تطلبه من المطوّف وهو يقوم باللازم ، وإن شاء الله تعود بالسلامة^(١) .

في مكة سكرتير وزارة المالية اسمه الشيخ أحمد على الموصلي ، رجل عظيم سمح الوجه لطيف العشرة في غاية الأدب صاحبي ، فإذا قابلته أو طلبت من المطوف مقابلته فأبأغه مني عاطر السلام وشديد الشوق ، ثم لاتسنى في الحرم وعلى عرفة وفي المزدلفة وفي منى ، وسلامي إلى حضرة السيد الصالح محمود بك شفيق^(٢) ومحمد أفندي الفيل ، الذي سيحج هذا العام ، والسيد محمد أبو الحسن الشرقاوى وجميع المحبين ، ولا تنس حضرة الفاضل مصطفى بك بغدادى ، وأسأل الله أن يسهل لكم الزيارة ، فإن سهّل لكم هذا ووصلتم إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد حنت الروح وظهرت الأشجان على الأعضاء وعلى مشاعرهم فاذكرونا

(١) كل ما يقصده من هذا النصيحة بالاقامة في الحرم ليل نهار في أدبه الرائع .

(٢) محمود باشا شفيق ، وكان أمير الحج .

بخير وادع الله لنا ، وأبلغوا حضرة الرسول سلامنا وسلوه
الرضا عنا .

هذا وقد أبغث أخواتكم والعائلة سلامكم ، والكل يدعون
لكم بخير وعافية وسلامة الوصول والعودة بالسلامة ، ولو أن
أخاكم الدكتور أحمد كان يرجو تأجيل ذلك لكنه يرجو لكم
الخير كله وبلوغ الأمانى .

وأرجو أن أراكم قبل سفركم لأتمتع برؤياكم وأودعكم ،
فإن تيسر لى حضرت وإلا فمع السلامة ، وسلامى للعائلة والأبنال ،
والسلام عليكم ورحمة الله .
والدكم

عبد السلام الحواوى

فأى والد يصل أدبه فى معاملة أولاده إلى هذا الحد من :
التواضع والحب مع النصيح الذى يصل إلى أعماق القلب ويقوى
الهمة نحو البر والأعمال الصالحة .

وله مكاتبات كثيرة عند كثير من الناس كمننا نحب أن يتسع
وقتنا إلى طلب الاطلاع عليها من محبيه الذين لا يهملون هذه

المكاتبات القيمة ، ففيها عظة وعبرة وصورة من صور أعمال هذه النفس الكريمة .

وهذه الرسالة هي مسك الختام في رسائله التي أحفظها وأعتز بها وأنظر إليه فيها وهو يهضم نفسه ويتمها وهو من الله بمكان عظيم ؛ فليكن لنا به أسوة ، وما أحسنها من أسوة !

٨ — من كلامه رضى الله عنه في الروح وتدرجها في الترقى (١)

الروح إذا سبحت نظرت ، فإن نظرت ذكرت ، فإذا ذكرت بدأت ، فإذا بدأت دأبت ، فإن دأبت عرفت ، فإن عرفت شربت ، فإن شربت شكرت ، فإن شكرت سكرت ، فإن سكرت طربت ، فإن طربت طارت ، فإن طارت سارت ، فإن سارت باحت ، فإن باحت فاحت ، فإن فاحت ناحت ،

(١) الروح إذا سبحت أى تفكرت ، نظرت من قول الله « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » فإن نظرت ذكرت الصانع ، فإذا ذكرت أسماءه بدأت في ذكرها ، فإذا بدأت دأبت على الذكر ، فإن دأبت عرفت حلاوة الذكر ، فإن عرفت شربت من شراب الذاكرين ، فإن شربت شكرت مولاهما على الهداية ، فإن شكرت سكرت من لذة الذكر ، فإن سكرت طربت من لذة الأحوال ، فإن طربت طارت وجدانا ، فإن طارت صارت في السبيل السوى ، فإن صارت باحت بما يعتريها ، فإن باحت فاحت من رائحتها ، فإن فاحت ناحت على ما فرط منها .

فإن ناحت راحت ، فإن راحت فاءت ، فإن فاءت باءت ، فإن باءت
 تابت ، فإن تابت طابت ، فإن طابت غابت ، فإن غابت فطنت ،
 فإن فطنت عادت ، فإن عادت طلبت ، فإن طلبت درست ، فإن
 درست علمت ، فإن علمت وقفت ، فإن وقفت شخصت ، فإن
 شخصت خافت ، فإن خافت اطمأنت ، فإن اطمأنت لامت ،
 فإن لامت رجعت ، فإن رجعت رضيت ، فإن رضيت فازت ،
 فإن فازت دخلت ، فإن دخلت درجت ، فإن درجت عبدت ،
 فإن عبدت استقرت . و « الْجَنَّةُ هِيَ الْمَأْوَى » « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ
 رَبِّهِ جَنَّاتٌ » .

فإن ناحت راحت تنخبط ، فإن راحت فاءت لا تدرى ، فإن فاءت باءت
 إلى أمر الله ، فإن باءت تابت بنعمة الله ، فإن تابت طابت من الذنوب ، فإن طابت
 غابت في سبيل الاستقامة ، فإن غابت فطنت لا تميل لغير الله ، فإن فطنت عادت
 لمعرفة الصواب فإن عادت ، طلبت من الله المعونة ، فإن طلبت درست العلم ، فإن
 درست علمت حتى تصدر عن حق ، فإن علمت وقفت للحدود ، فإن وقفت شخصت
 إلى الله بحق ، فإن شخصت خافت منه سبحانه وتعالى ، فإن خافت اطمأنت « يَا أَيُّهَا
 النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ » فإن اطمأنت لامت نفسها على الماضي وخافت الرجوع إليه ،
 فإن لامت رجعت إلى ربها بثبات وصدق ، فإن رجعت رضيت راضية بربها ،
 فإن رضيت فازت مرضية ، فإن فازت دخلت في عباد الله ، فإن دخلت
 درجت في العباد ، فإن درجت عبدت عبادة حق ، فإن عبدت استقرت
 الروح في الجنة و « الْجَنَّةُ هِيَ الْمَأْوَى . وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ » .

٩ — من كلامه رضى الله عنه في النفس وتراجعها (١)

النفس إذا سبحت عميت ، فإن عميت غفلت ، فإذا غفلت
شردت ، فإن شردت بدأت ، فإن بدأت دأبت ، فإن دأبت
نأت ، فإن نأت شربت ، فإن شربت سكرت ، فإن
سكرت طربت ، فإن طربت طارت ، فإن طارت سارت ، فإن
سارت فاحت ، فإن فاحت ناحت ، فإن ناحت شكت ، فإن
شكت أوبقت ، فإن أوبقت باءت ، فإن باءت شطحت ، فإن
شطحت نطحت ، فإن نطحت جرحت ، فإن جرحت أدمت

(١) النفس إذا سبحت في الدنيا عميت عن الآخرة ، فإن عميت
غفلت عن ذكر الله ، فإذا غفلت شردت عن الحق ، فإن شردت بدأت
في الشر وطلب الدنيا ، فإن بدأت دأبت زادت في الطلب ، فإن دأبت نأت
عن الخير ، فإن نأت شربت شراب الهالكين ، فإن شربت سكرت بحب
الدنيا ، فإن سكرت طربت باللهو ، فإن طربت طارت إلى المهاوى ، فإن
طارت صارت إلى حيث لا يعلم مصيرها ، فإن صارت فاحت أعمالها ، فإن
فاحت ناحت من الخسران ، فإن ناحت شكت مما حل بها ، فإن شكت
أوبقت غيرها ، فإن أوبقت باءت بالخسران ، فإن باءت شطحت تنحطت ،
فإن تنحطت نطحت لعدم اهتدائها ، فإن جرحت أدمت النفوس

فإن أدمت قتلت ، فإن قتلت أجمرت ، فإن أجمرت طغت ،
فإن طغت بغت ، فإن بغت آثرت ، فإن آثرت هزمت ، فإن
هزمت صاحت ، فإن صاحت راحت ، فإن راحت وقعت ، فإن
وقعت فطنت ، فإن فطنت ندمت . « فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى » .

ولقد كانت له رضى الله عنه جملة مكاتبات بينه وبين كثير
من الإخوان تبلغ الآلاف ، وكانت تستنفد من وقته ولكنه
كان يكتبها مسرورا راضيا لوجه الله الكريم فى توجيه تلاميذه
إلى ناحية الخير وتهذيبهم بأدب كامل .

وممن حفظوا رسائله باهتمام أحد الأخذين عليه وهو حضرة
الأخ الصالح والتقى الورع الحسيب النسيب سالم بك عمر جمعه

فإن أدمت قتلت غيرها ، فإن قتلت أجمرت ، فإن أجمرت طغت ، فإن طغت بغت ،
وإن بغت آثرت الحياة الدنيا ، فإن آثرت هزمت بعدت عنها العاقبة ، فإن
هزمت صاحت من خسران العاقبة ، فإن صاحت راحت تلقى حتفها ، فإن
راحت وقعت فى الحساب ، فإن وقعت فطنت النفس الى ظلمها ، فإن فطنت
ندمت حيث لا ينفع الندم ، « فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَى » .

من أعيان الإسكندرية ، وقد كانت تربطه بأستاذى أوامر الود
المتين والحب المكين ، وقد تفضل فأعطانى ملفّ هذه المكاتبات
التي تنوف على الثلثمائة لأختار منها بعض الرسائل و بعض ما ورد
فيها من العظات والحكم البالغات لينتفع بها من اطلع عليها أوليسر
بها أهل محبته الذين يتلذذون بحديثه ، وكنت أحب أن أثبت
كثيرا منها ولكن لايسع الكتاب كثيرا فى هذا الباب لأنها
تحتاج إلى كتاب خاص فسأثبت منها قدرا يسيرا ، وأشكره على هذا
التفضل ، أطال الله فى عمره وجزاه عنى وعن إخوانى وعن المسلمين خير
الجزاء كما أثبت بعض مختارات من رسائله رضى الله عنه وندعو
الله أن يسامحنا فى نشرها لأنه كان يكتبها بلا تنميق ولا تحبير ،
بل يكتبها بحالة عادية ولم يكن يخطر له على بال أنها ستنشر على
الناس ، وهى فى ثوبها هذا جميلة جمال الحق فى جوهره الطاهر
من تلوين المظاهر .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة سيدى الأخ العزيز المحترم سالم بك حفظ الله مہجته
وأدام بہجته .

تحيتى لروحك أكبر من تحيتى لأشباحك ، تحية
الجسم تحية ظاهرة ، أما تحية الروح فتحية باطنة ، تشعر بها
الأرواح (ولا يعلمها إلا بارى الأرواح) التى من جنسها ، والتى
شربت من مشربها ، تجدها وإن تفرقت مساكنها فى الدنيا ،
فانها أسراب ظاهرة فى عالمها فى الحياة ويوم القيامة ، تعرف ربها
ولا تعرف سواه ، وهناك أرواح تتعلق بأرواح الصالحين ،
وتتہافت على أعمالهم ، ولكنها ساجدة فى أعمال الدنيا ، مخلدة
للمحبين ، وهذه درجة ثانية تكون مقبولة ، تتبع يوم القيامة سرىبا
من أسراب الشفعاء ، وربما تختار فى أى الجهات تتبع ، وأكبر
ناج من اتبع المصطفى صلى الله عليه وسلم ففسأل الله سبحانه وتعالى
أن يجعلنا من أتباعه ، مع من عرفنا به وبجبه ، وجمعنا عليه وعلى
حبہ ، فان أرسلت إليك تحياتى ، فانما أرسلها بحب الروح الخالصة

لوجهه ، وأرجو من الله سبحانه وتعالى ، أن يجعل مقام محبتي مساويا لمحبتك له ، حتى تشعر روحك بإخلاصى لك ، رغبة فى أن تعمل عمل المحبين لله الذين لا يلبأون إلا إليه سبحانه وتعالى ، فأنا إن شكرتك على تلك العقيدة السليمة الصادرة من قلب محب لله ، يظن فينا خيرا ، إنما أشكر الله سبحانه على نعمته على إخلاصى لكم ، حتى قذف فى قلوبكم من محبتكم له شعوركم بهذا الإخلاص ، الذى أسأله سبحانه وتعالى أن يديمه مستمرا إلى يوم القيامة لوجهه العزيز ، وأن يجعل شفيعنا يوم القيامة هو النبى صلى الله عليه وسلم الذى من تمسك به وبشريعته نجا ، إنه كريم ، فهل تقبل هذه التحية ؟ وتتقبل تحيات آل وأنجالى وأصهارى والمحبين وتسمح أن تبلغ الآل والأنجال تحياتى ؟ أظنك لا تبخل بهذا مع تبليغ السلام لحضرة الأستاذ الشيخ أحمد غلبون والشيخ عبد الحميد والشيخ على والحاج فهمى ومن المحبين ، والسلام عليكم ورحمة الله خالصا مخلصا ، أيدكم الله بنصره ،

وزادكم من نعمه ، ورزقكم الهناء والاطمئنان بنجاح الأنجال مع
سلامي للدكتور عبد السلام حفظه الله .

المخلص

عبد السلام الحلواني

١٩٣٩/٥/١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة أخى العزيز المفضل سالم بك عمر جمعه

تحية وسلاما وشوقا ، وبعد فسبق أن كتبت لحضرتكم
خطابا وأنا متعب عقب دوخة حصلت لى ، ولم أتمكن من أداء
الواجب نحوكم ولكن لا تؤاخذنى فإن صحى هذين اليومين على
غير ما نبغى فعذرا ، وأسأل الله لكم الهناء والاطمئنان ، بلغنى
أنكم نقلتم فى ضواحي البرية خوفا من الغارات فأسأل الله لكم
راحة البال وتحسين الأحوال ، إنما نحن لازلنا ننتظر حضوركم
لنتمتع برؤياكم والاطمئنان عليكم ، أما أنا فمتوكل على الله
وهو المُسلم .

اللهم إني أسألك الثبات على الإيمان حتى يكون قلبي
في أمان ، اللهم املاؤه حبا فيك حتى يكون راضيا بقضائك موقنا
بأنه لا حركة ولا سكون إلا بأمرك وقدرك ، سبحانك لا شريك
لك ، لك الأمر من قبل ومن بعد . اللهم إني أسألك بحبيبك
المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تبث الإيمان في قلبي بثا فتجعله
في أعضائي وأحشائي وفؤادي وروحي منبثا . اللهم جنبني المموم
وادفع عني جيش الشيطان فلا تجعل له على سبيلا ، اللهم لا تجعل
قلبي له هدفا حتى يتسلط عليه بمعداته ومصوباته ، فإني ضعيف
لا أتحمل القصاص فيصوب عليّ الرصاص فإني موقن بأن المعاصي
تزيل النعم ، وأنعم عليّ بشكرك على نعمك خصوصا نعمة الإيمان
فإني موقن بأنك سريع النقم لمن لا يشكر نعمتك ويرعاها بترك
للمعاصي ، فلا تجعل للشيطان على سبيلا واجعل قلبي شديد الإيمان
بك فلا يعبا بحرب الشيطان ومعداته ، ولا ببندقياته ولا رصاصاته ،
فلا يتعتعه تعتيعة ، ولا يخوفه بعبية ، لا طنبجة تزججه ، ولا مدفع
يفججه ، ولا يهيمه المفرقات ولا تدهشه المترليوزات ، لا رشاشة ترشه

ولا دبابة تنفسه، لا بارجة ترجه ولا لغم يزجه ، ولا مغناطيس يجذبه
ولا غواصة تضربه ولا نسافة تنسفه، ولا قاذفة تقذفه ، ولا طرادة
تطرده ولا مدمرة تنفسده ، ولا غارة تكربه ولا صفارة ترعبه ،
لا كمامة تخنقه ولا غاز يحرقه ، لا طيارة تناوئه ولا مظلة تفاجئه ،
لا قبلة تفرعه ولا شظايا تفجعه لا طابية تقوى عليه ولا حصن
يقوى لديه ، ولا خط من الاستحكامات يعوقه ، ولا رباط من
رباط الخيل يفوقه ، ولا سيف عليه يصول ، ولا عدو عليه يجول
بل هو بقوة الله يصول ويحول ، فموة الله هي الحصن الحصين ،
والركن المسكين ، وهي القوة والعدة ، وهي الجبل المتين ، فاجعلنا
يا مولانا بها نتمسك ونفوز ومن جميع المصاعب نجوز « قُلْ كُنْ
يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلی العظیم .

أَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ وَالْوَثْقَ بِاللَّهِ وَأَنْ يَجْعَلَنا وإياكم
مِنَ الْمُطْمَئِنِّينَ بِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِحَبِّهِ وَحُبِّ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ
يَهْدِيَنَا وَإِيَّاكُمْ سِوَاءَ السَّبِيلِ .

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الى وبركاته :

حضرة السيد الجليل ، والأخ المحترم ، سالم بك جمعه ،
حفظه الله وأدامه .

تحيات وتسليمات وأشواق زائدات ، لشخصكم المحترم
المحبوب ، وبعد : فأعذر وأرجو قبول الاعتذار ، غادرتونا
بسلامة الله والقلوب متعلقة بكم ، ولم يمكنني أن أكتب كما أمرتمونا
للمشغولية بوجود الإخوان والناس ، وقد أردت الكتابة بعد
سفر السيد العزيز عبد الوهاب بك أبو النصر لإعطائهم للشيخ عبد الحميد
فصادف حضور الدكتور ، وشغلنا بالسلام وسلام الناس عليه ،
فلم أتمكن ، فأردت الكتابة بعدها ، فصادفني إعياء رقدت له
يومين ، فهذه إرادة الله ، فلا تؤاخذني ولست مقصراً ، ولقد
كان أمامي جملة خطابات تحتاج الرد ، ومنها خطابات حضرتكم
وخطاب لأخي عبد الرؤوف ، فلم أجد وقتاً أرد فيه ، ذلك تقدير
العزيز العليم .

أحضرت جواب أخى ، لأرى هل يمكننى الرد ، فوجدته
مكتوباً بما جاش فى صدرى أن أكتبه لكم ، ولكنه طويل
جداً ، بدأه بقوله : سلام هو الإخاء ، المتفجر من شغاف الأحشاء
بالحنان والإخلاص ، وتحيات لا تنبعث إلا من حنايا القلب ،
والتضاعيف الرحمة هامية بالعطف ، مؤتزة بالقربى ، وشوق
يتوقد من حب قد أضاء بالجوانح ، فملأها بالمنى والأمانى وحب
قد ارتكز على أوتار أرومته ، فكان وتره العازف على قيثارة
المشاعر ، فأحدث نبراته فى القلب حناناً جياشاً ، سندسماً
العناصر ، آسى الأواصر ، فكانه النور من الألائك إلى آخر
ما قال : فقد كتب عنى ، لك منى ، ولقد فكرت كيف أكتب
والقريحة كاسدة ، والفؤاد عاتم ؛ والقلب مظلم وظالم ؛ فصرت
أستعرض حلقات الحياة ؛ وما كان فيها من انتباه ، والآن
وقد ردنى الله إلى أرذل العمر ، وقد فترت المهمة ، خصوصاً فى
الأحوال المهمة ، كرد الجواب لكم يا أعز الأحاب ، لكنى
طلبت من الله ، بجاه النبى الأواه ، رفيع الجاه ، صلى وسلم

عليه الله ، وسلم على آله وصحبه ومن والاه ، أن يكشف غمتي ،
 ويزيل كربتي ، ولما لم أجد في ذهني كلاما ، مسكت كتابا
 أمامي ، عسى بالمطالعة يفتح الله عليّ ، فإذا به مختار الصحاح ،
 فقلت : يا للعجب هذا مختار الصحاح وهو لا يصلح لمثل الماكسر ،
 لكن على الله الجبر ، افتحه عسى أن تجد فيه شيئا ينفعك ،
 ففتحته فوق نظري على مادة « مدد » فقلت لنفسي عال ، هذا
 إرشاد لطالب المدد من الشيخ ومن الرسول صلى الله عليه وسلم
 ومن الله سبحانه وتعالى ، فمددت يدي عسى أن أجد المادة ، وهي
 الزيادة المتصلة ، وفي الحقيقة أمد الله في عمرك وزاد في نعمتك ،
 إن التوفيق في الذكر والعمل الصالح لا يكون إلا إذا أخلى الإنسان
 قلبه ، ولو بعد صلاة الغروب ، واستجمع نفسه إلى الحضور في
 حضرة الشيخ ، واستأذنه في عمل الآخرة الذي يريده ، سواء
 كان ذكراً أو طاعة أو ورداً أو قرآناً وطلب منه المدد ، ثم
 استأذنه واستحضر النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه المدد ،
 ثم استأذنه خاشعاً في حضرة الله وطلب منه المدد والإذن في

الوقوف في حضرته لأداء الطاعة ، ثم يبتدىء بطاعته إلى أن ينتهى ، فيقول : اللهم إن ذكرك لا يُمل ، فارحمي يا الله ، دستورك يا الله ، ثم يلتفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : دستور يا شيخى ، دستور يا رسول الله ، ثم يلتفت ويقول : دستور يا شيخى ، السلام عليكم ورحمة الله ، في هذه الحالة يرى أنه حصل له مدّ ، أى سيل من النهر أو من أنهر ، وشعر بسرور لا يقدر ، وانفتحت له البصيرة ، وصار يرى ببصيرته ، وامتد بصره إلى بعيد ، فأنت رجل مديد القامة والباع ، سريع الاتباع ، للنبي المطاع ، حفظك الله وجعلك له من الأتباع ، فى الدنيا ويوم الأسماع ، وأعطاك عطاء جزيلا فتعطى به تمداً ، فتكيل مما أعطاك الله إياه مكايلا ، بل ومكاييل مُدّاً بعد مد ، إلى أهلك وذويك ومحبيك ، ويدوم ذلك دائماً لا مدة من الزمان ، أى برهة منه ، بل تستمد على الدوام ، كما يستمد القلم من المداد ، ولا يخفك أن عطاء الله لا ينفد ككلماته التى لا تنفذ « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي » وأنت إن

شاء الله ممدود منه ، خصوصا باتباعك شرع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وسيكون قربك منه قريبا إن شاء الله ، وتراه وتمتع به ، وتمتد منه حتى تمد غيرك ، فقد يكون المدد من الله سبحانه ومن أمدهم . قال تعالى : « وَأَمْدَدْنَا هُمْ بِفَأْكِهِ وَحَمِّمَّا يَشْتَهُونَ » فيكون لك ومنك النور والسرور ، أبعد الله عنا الشرور ، وطهر قلوبنا من الميِّدة ، وهى قريح تورث الذنوب ، ونجانا من الكروب والعطوب ، وجعلك دائما مطمئن النفس ، تتبع البر كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « البر ما طمأننت إليه النفوس » وستنجلى عروس ، ويزول البوس ، وربما تمر أيام ، وفيها التزام ، للقبض على الزمام ، أو ربما تمر حوادث الظروف بشيء من الخوف ، فعليك بحسن التوكل ، واستشر قلبك بما يطمئن إليه ، وإذا استحضرت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم استشرت قلبك واطمأن إلى شيء كان هو المراد ، ثم لا تقل أنا أفعل كذا مع النبي صلى الله عليه وسلم . أما عن

حضرة النجل محمد بك حفظه الله^(١) ، فإن شاء الله ناجح بتفوق ،
وإني أراه بقلبي يرقى الدرجات العلى ، وقد رأيت بقلبي أيضا أنه
صاعد إلى الوزارة « وزارة من الوزارات » فارتقى سلم الوزارة ،
وكان فى الأول هَيَّابا ، وأنت صاعد ثم ناديتته فأسرع ، ولذا
أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرقيه ، وأن يكتب له السعادة .
والسلام عليكم ورحمة الله

المخلص

عبد السلام الحلوانى

٩٤١/٥/٢٨

مختارات من بعض ما كتب للإخوان

(١) أما الشوق فشوق يؤدى للجمع ، والجمع لا يكون
إلا بالجمع ، والجمع جمع القلب على الله ، فإذا كان شوق فلا يكون
إلا لله ، فإن تعدى لإنسان فلا يكون إلا بجمعه على الله فلا يكون
شوق لإنسان إلا لمحبة لله ؛ فهو بالله وإلى الله وفى الله وعلى الله
وبالله ، فإذا كان عندى شوق فمظهره أنت ومنك طوقت جيدي

(١) كان طالبا بكلية الحقوق ، وهو الآن وكيل نيابة بدمهور .

وَعَرَفْتُكَ بِاللَّهِ ، فَإِذَا تَوَجَّهْتَ إِلَى اللَّهِ ، وَجَدْتُكَ أَنْتَ مَعَ اللَّهِ ، فَإِذَا عَرَفْتَ إِنْسَانًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا اللَّهَ ، فَاللَّهُ سَخَّرَ لَهُمْ ، وَجَعَلَكَ إِنْ أَحْبَبْتَ أَحَدًا الطَّاهُونَ تَدُورُ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ الْحَجَرَ يَدَارُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ أَدَّرَ شَيْئًا عَلَى الْحَجَرِ ، فَإِنَّمَا الدَّرَ أَصْلُ الْبَرِّ ، وَالْبَرُّ مِنْ أَصْلِ السَّرِّ فَلَا بَرَّ إِلَّا مِنَ الْبَرِّ ، وَكَلَهُ اللَّهُ ، فَمَعَامَلْتُكَ اللَّهُ وَلَيْسَتْ لِلنَّاسِ .

(٢) فَكُنْ مَعَهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ، فَقَدْ قَالُوا: إِنْ الْإِصْبَاطُ نِهَايَةُ الصَّبْرِ، وَمَنْ صَبَرَ ظَفَرَ ، وَمَنْ لَازِمَ وَصَلَ ، وَمَنْ أَدْمَنَ قَرَعَ البابَ يَوْشَكَ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ ، وَالشَّجَرَةُ إِذَا أُورِقَتْ أَزْهَرَتْ ، فَإِذَا أَزْهَرَتْ وَكَانَتْ مِنْ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ أَدْرَكَتْ ، فَإِذَا أَدْرَكَتْ أَثْمَرَتْ ، وَالثَّمَرَةُ هُنَا الْإِعْتِقَادُ الْكَامِلُ ، ثُمَّ الْمَعْرِفَةُ ، وَالْوُقُوفُ مَعَ اللَّهِ عِنْدَ حَدِّ الْأَدَبِ ، فَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِكُ الْمَلِكِ فَنَحْنُ فِي مَلِكِهِ، وَوَاجِبٌ عَلَيْنَا خِدْمَتَهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَإِذَا عَبْدْنَاهُ فَإِنَّمَا نَحْنُ عَبِيدُ مَفْرُوضٍ عَلَيْنَا عِبَادَتَهُ أَيْ خِدْمَتَهُ ، وَلَا نَبْغِي بَذْكَرْنَا وَعِبَادَتُنَا إِلَّا أَنْ نَخْدُمَ وَعَبِيدُ ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ فِينَا مَا يَرِيدُ ، لَا نَبْغِي بَذْكَرْنَا وَعِبَادَتُنَا أَيْ ثَوَابَ ،

ولا نخاف من عقاب ، بل نرضى بما قدره وقضاه ، فليس الأمر
لسواه جل وعلا ، وهو الرحمن الرحيم .

(٣) والسلام على سيدنا محمد بحر الجود ، الذى شرب من
شرعه قوم وقفوا على ساحل بحره الزاخر ، فلم يخوضوه خوف
الغرق ، ولكنهم وقفوا للشرب منه عند الشرق ، فكل من
عطش واشتد به العطش شرب من بحر الرسول فارتوى ، وكل
من ارتوى أدرك بأثر الرى أنه ضعيف ذليل ، ولا يمكنه أن
يشرب البحر « وهو الشرع » فيبوء بعجزه إلى الله ، ويقف
عند حده عاجزا أمام الله ، خاليا فى التوحيد من كل دليل عقلى
أو نقلى ، متبرئا إلى الله تعالى من نسبة العلم أو الدليل ، خاليا من
الأقوال والأفعال ، وفى اصطلاح هؤلاء القوم قصد الحق مجردين
عن الشواغل ، متطهرين من العلل ، مثل من يحج ، فإذا
نوى الحج خلع كل نية أخرى ، وفسخ كل عقد عقده
منذ خلق ، ما يكون غير نيته الحج إلى الله والوقوف بين يديه
خاليا من كل الشوائب ، فإذا نزع لباسه تجرد عن كل شيء ،

فإذا تطهر زال عنه كل علة ، فإذا لبى سمع بقلبه جواب التلبية فتلذذ بالنداء ، فإذا دخل الحرم ترك كل محرّم ، فإذا أشرف على مكة أشرف عليه حال من الحق ، وعلامته البكاء ، لأن الملائكة تحفه ، فإذا دخل المسجد دخل في قرب من الله سبحانه وتعالى ، فخشع وطاف ورمل هارباً من الدنيا ، ورجع وسكر ، وركع بعد أن صافح الحق بمصافحة الحجر ، كما ورد في الأثر ، فظهر عليه الأثر ، ومن ظهر عليه الأثر نال الرضا ، واستشعر أنه تحت العجز عرف واغترف ، وترك أمره لله ، وصفا له الحال ، وافتقر من الدنيا مالاً وعاملاً وعمالاً واغتنى بالمآل ، مآل الخادم عند مولاه ، يصيره كيف يشاء ويضعه في مكانه كما شاء أن يجعله من خدامه ، والله رءوف رحيم ، فمن عرف القوم وسار بسيرهم نجاً ، وكان مع شدة الخوف كثير الرجا .

(٤) باسم ربى أحبيك بالسلام ، سلام الروح الخالية من الخيال ، ومن الحيلة والأحوال ، إلا من الله الواحد ذى الجلال ، سلام من عبد السلام ، عبد يفخر ويزيد تيهاً وعلوّاً ، بأنه

عبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، هنيئاً له ، لأنه خلقه الله ،
أسألك يارب حيث خلقتني من عبيدك ، منتسباً إليك أن تجعلني
من فريق الجنة ، وما أطلبها إلا لأنها مكان قربي منك ، ولا
تجعلني من فريق السعير ، لأنها تبعدني عنك ، وإن كان قدرك
قد سبق ، ولكني أسألك اللطف فيه ، أنت المسيطر ، ولك
حضرة الإطلاق تفعل ما تشاء ، سبحانك لا إله غيرك ، ولا
معبود سواك يا حي يا قيوم .

(٥) من تفكر في دينه سلك ، ومن حافظ على آداب
الطريق في سيره إلى الله ملك ، وكان في أفعاله كالملك ، سبحان
من أدب النفوس ، وأرسل لها العروس ، وأنزل الكتاب
كالطروس ، فكان طبيب النفوس ، كتاب أحكت آياته ،
ونظمت بيناته . وكل إنسان بنياته ، له هبة موهوبة ، وأمور
في الدنيا مطلوبة ؛ فمن أسعده الله أعطاه ، ومن وفقه إليه أغناه ،
إليك أرغب ، وإياك أرهب ؛ اللهم ألهمني الصواب ، واجمع قلوب
الأحباب على الباب .

(٦) اعلم أن طريق شيخنا رضى الله عنه ، طريق الذكر فقط وليس غيره ، ففيه الفتح ، وفيه الطلب ، وفيه قضاء الحوائج ، وهو منه وإليه ، وبه كل شيء ، فإذا أمرت بشيء غيره فاضرب عنه صفحا ، واتبع الذكر ففي الأسماء ، العلو إلى السماء ، قلبك مع ربك ، وربك معك ، فليس بعيدا عنك ، يقربك إليه ، ويعرفك به ، ومن عرف الله عرفه الحكمة ، ومن سلك سبيلا غيره وكان يجهل بجره ، جره هذا السلوك إلى الشكوك نجانا الله منها » « إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا »

(٧) إن القلوب لها معان في مناجاتها ، تتعارف بها الأرواح الخاصة ، وتتفهم دقائقها في صفاتها ، إذ تنعكس أشعة الأرواح على بعضها ، فترى بنور الإيحاء الرحمانى ما لا يراه غيرها ، إذ تتفاوت الأرواح بين الأحباب وأولى الألباب ، واللييب من لبّ أى أجب مولاه فلباه ، وأعطاه قوة إدراك النفوس فيدرك من معانى القلوب ما تتناجى به ، سواء بين العبد وأخيه ، أو بين العبد وربّه ؛ وهناك فى القلوب خبايا وخفايا وأسرار لا يعلمها

إلا الله ، ولو شاء لأطلع بعض الأخصاء على بعض القلوب لحكمة يعلمها ، وبالجملة فهو ستار غفار .

(٨) ومن كلامه لبعض إخوانه :

فلا يهدأ لك بال ، إلا أن تشكر الله تعالى بإسداء المعروف عليهم مما أنعم الله به عليك ، فترى من واجبات الحمد والشكر لله على نعمه الوافرة الجود مما جاد ، ليكون لك الزاد في الميعاد ، فنعم الحمد ونعم الشكر ونعم الزاد ، «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» هذه منة أنعم الله بها عليك تغبط عليها ، ولا أقول غير ذلك ؛ ومرة أردت أن أقوم بالصب على بربرى عجوز للوضوء وكان بوابا تحت إمرتى ، فلم يشأ منعى وانتظر حتى أتم وضوءه ، ثم قال : يا بنى إننى لم أرد حرمانك من الثواب ، وأطلب لك من الله أن يكثر نعمته عليك ، وأنت يا سيدى تدرك ما أقول ، فقد أفضت على ، والسلام .

(٩) وكتب لبعض أحبائه :

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ

عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ » خلق الخلق وسبب الأسباب ، وقضاؤه نافذ ، خلق أبا البشر فتناسل وتسلسل التناسل إلى وقتنا ، فهو سبب لوجود الخلق ، ولكن كل فرد مسئول عن عمله « فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله » وفي رواية أخرى « إِذَا كَرَّ اللَّهُ وَمَاوَاةُ » فلا أنا مسئول عن عمي ابن أينا آدم ، ولا خالي أخو بنت أمنا حواء مسئول عني ، إنما هو قضاء وقدر على جميع الخلق ، ينفذ في ظروفه على كل فرد ، بما قدر له في الأزل ، وعلى كل الوري يجري القضاء ، وإننا نسأل الله اللطف في القضاء ، وأن يفقهنا في ديننا ودينانا ، ويوحى في قلوبنا الخير لنسير على منهجه القويم وشرع نبينا الكريم ، فلا نجد في قلوبنا سواه ، فمتبع هداه .

(١٠) وكتب وصية لوالد :

وبعد ، فلكل فرد خطة مقدرة ، يراها الله في سير العبد ، وقد رزق الله الآباء والأمهات رحمة في قلوبهم لأولادهم حتى

يقوموا بما قيضهم له ، وللأسباب مسببات ، وكل شيء بأمره ، فبعد انقضاء الأمور حسب المأمور ، منها التربية والنجاح والفلاح واستتباب الأمر لكل فرد ، قام كل منهم بما قدر له وسار في سيره ، وحينئذ « لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا » وإنما الغرض أن يجتهد الوالدان في حالة الكفالة إلى أن يكون الولد من أهل الصلاح والفلاح .

(١١) الشكر لله دقيق في توجيهه إليه ، فالشكر باللسان مأمور به الإنسان ، والشكر بالقلب نعمة أنعمها المنان ، وهو قسمان : قسم على النعم الظاهرة ، وقسم على النعم الباطنة ، وهناك قسم آخر يرتقى إليه طالب ربه فيرى ربه متكلماً به قبل أن يراه فيحمده على ما أعطاه ، توجيه القلب للبارى نعمة يرى بها النعم فيفرزها ويرأها على نفسه ، فإن فقهه الله فيها وجد أن التقدير فضل كبير ، « ولو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع » .

(١٢) ومما كتبه لبعض أحبائه :

أحمد سبجانه وتعالى وأتوب إليه ، وأصلي وأسلم على سيدنا

محمد بن عبد الله الرؤف بالمؤمنين ، وعلى آله وصحبه وشيخنا
والتابعين ، لقد قالوا : إن للذكر نورا يظهر من الباطن إلى الظاهر
وتكون له بواذر وطوالع ، فيكون هناك إشراق على الوجه
يجذب الأرواح فتكون الطوالع طولع تتلعلع في جبهة الذاكر ،
وتكون دليل الذاكر في أحواله وكلامه ومخاطباته ، وتكون باب
الهداية للغير ، فإذا ترقى الذاكر اشتد إلهامه ، وهكذا يترقى
بعد الأحوال إلى مقامات القرب حتى يتحول من النظر إلى الدنيا
إلى الآخرة ، فلا يكون بينه وبين الله حجاب ، فتكون روحه
مع الله سبحانه وتعالى ، فلا يرى غيره ويتحول الإشراق من
الظاهر إلى الباطن ، فبعد أن كنت ترى الولي مشرقا تراه وقد
انطفأ إلى الحالة العادية حتى لتتأجى نفسك أين النور الذي كنت
أراه ولا تدري أنه مع الله ؟ زهد الخلق وتركهم وترك أحوالهم ،
فلا يعلمه إلا الله ومن مثله في ترقى الدرجات والمقامات ؛ أما من
وقف عند حد واكتفى أوفرح من الدنيا بما أعطاه الله فهو والخلق
سواء ، بل لقد فرح بما أعطى في الدنيا للدنيا ، وقد يحاسب عليه

يوم القيامة حسابا عسيرا ، وأنا أبرأ إلى الله مما أقول بغير حق ؛
فأوصيك بالتقوى وطلب المزيد في الأعمال الصالحة من الله ، فهو
المعطي سبحانه وتعالى وجد واجتهد ، ولا تقل عملت كذا
أو طلبت كذا ، بل خذ لك ساعة من نهارك أو ليلك ، وحاسب
نفسك بين يدي ربك ، وعلمها الأدب معه ، واستصغر نفسك
أمام الله فلا تعرف سواه ، فهو العليم الحكيم القادر المقتدر ،
وارض بقضائه وقدره ، وكن مع القضاء حيث أراد الله لك ،
واترك أمورك بين يديه ، ولا تقل إن من المسائل التي أحب أن
تنتهى لأستريح ، مسألة في نفسك قضاها وأنت لا تملكها ، فإنك
لا تعلم الخير في تعجيلها أو تأجيلها ، ولا تدري ما هو مدخر لك
عند الله ، فرب ضارة نافعة ، وربما تتعجل الأمور ولكن في
التأخير خير ، وربما تريد في البيت أمورا ولكن قضاء الله غير
ذلك ، وربما تريد التأخير والتأجيل أفضل ، وهو مدخر لوقت
آخر ، فالتسليم لله أفضل ؛ أمّا ما نفذت به إرادة الله وقضيت
الحاجة وقت الحاجة ، فهذا ما أراد الله لك ، وما دمت متوكلا

عليه فستره فائض عليك ، وإنما إرادته تنفذ بما يقذفه في قلبك
ويحسنه إليك لتسير في تنفيذه حتى يأتي الأجل المضروب ،
فلا تعرف ستره عليك إلا بعد نفاذ أمره فلا زيد ولا عمرو ،
وإنما الأمر أمره ويفعل ما يشاء . واعلم أنك مستور ، والرزق
موفور ، والمسائل لا تحتاج إلى مشا كل ، وإنما المشاكلة في تدبير
الأمر لتنفيذ الأمر ، فخذ لك من مجرى النهر سيلا ، وخطا ممدودا
مجرورا من سير الماء حيث تلتقيان في برزخ لا يكون فيه بغى على
أحد ، والله يراك في سيرك مادمت في قلبك تستشيريه وتستخيريه ،
والبر ما طمأنت إليه القلوب العامرة بالله ، وحافظ على سلوكك ،
فلو سلكت طريقا مستقيما فاتبع السير فيه ولو كان طويلا ، لأن
التحول من طريق إلى غيره ربما يكون فيه شوك وأنت لا تدريه .
(١٣) ورثا رضى الله عنه أحد تلاميذه وهو التقي الصالح والعالم
العامل ، سليل بيت العلم والمجد الشيخ « أحمد غلبون » من عائلة
غلبون الشهيرة بالمغرب ، ولم يكن رضى الله عنه يميل إلى الشرقة قال :
فراقك يا غلبون والله غصة يفتت أكبادا إليك ظواميا

لقد كنت فينا مستتيا وصالحا
 سليما من الأوزار حتما موفقا
 أقيمت توالى كل فرد على تقى
 ففي جنة الفردوس روحك ترتقى
 وقد كنت في الدنيا تراه مواليا
 فيا أحمد الأفعال ظلك وارف
 ويأيتها الإخوان رفقا بحالكم
 لقد كان للإخوان والله موردا
 وكان كمثل السحب يطر غيثه
 وكان نصير الوجه يلمع بالضيا
 فإن تذكروه فاذا كروا العزو والعلا
 فقدنا مزايأ منه كانت ندية
 ولكننا فيه احتسبنا مصابنا
 ونرجوه الخير الذي هو أهله
 فلا زال في دار النعيم مكرما
 تقيا وللاخوان كنت الموافيا
 تواصل ذكر الله في الليل دانيا
 وسرت لتلقى الله بالذكر صافيا
 إلى صحبة المختار بالله ساميا
 فعند الإله الحق أكثر رائيا
 ستلقى علوا من إلهك راقيا
 فكوكبه الوضاء أصبح خافيا
 نديا وذخرا للملمات كافيا
 فيصبح وجه الأرض بالزهرا هيا
 وسيا نديا مخلص الود زاكيا
 سجاياه لا تنسى وإن غاب ثاويا
 تشابه فوح العطر أنضر صافيا
 وعند إله العرش نرجو المراضيا
 وفي كنف الرحمن ينعم راقيا
 ولا زال عنه الله ذو الفضل راضيا

(ح) كراماته :

إن كرامات سيدى الأستاذ أكثر من أن تحصى؛ فقد كان يلمسها كل الإخوان فى كل آن ، ولا يكاد يفتح بابها فى مجلس من مجالسهم حتى يسوق كل منهم ما وقع له من سيدى مرارا .
وإني أكتفى هنا بسرده بعض ما وقع منها معى شخصيا على سبيل المثال .

(١) دعوت سيدى لزيارة قريتنا فدخلها لأول مرة واستقبله فى المحطة عدد كبير من أهلها وسار إلى جنبه بعض الأعيان ، وعند ما حاذى منزل أحدهم نظر إليه وقال هذا منزلك يا شيخ حسن، فما كان منه إلا أن دهش وألح على سيدى الأستاذ بدخول منزله للتبرك ، وكنت حينئذ بجوار سيدى الأستاذ .

(٢) كتب لى مرة « ويزيد دخلك فى هذا العام » وكنت حين كتب هذه العبارة حاصلا من بضعة أشهر على الدرجة الخامسة ، وكانت لا تعطى لنا علاوة الترقية إلا بعد سنة فحدث أن صدر بعد ذلك قرار بصرف العلاوة للموظفين مع التجاوز عن

المدة الباقية من السنة مع أن زملاءنا الذين سبقونا بالترقية مضوا السنة بأكملها .

(٣) عند ما أعلنت انجلترا الحرب على ألمانيا في أول سبتمبر ١٩٣٩ زرت سيدى الأستاذ وقلت له يقولون : إن مصر ستكون ميدانا طاحنا لهذه الحرب فنظر إلى رضى الله عنه وقال : تسألنى عما يدخل فى روعى ، فقلت : نعم ، فقال رضى الله عنه حرفيا : « يدخل فى رُوعى أن مصر لا يصيبها إلا رذاذ » فأخبرت بذلك كل من لقينى يومها من الإخوان ، وهذا ما حدث فعلا رغم تخرج الأمور إلى درجة كان يظن معها أن خراب مصر أصبح محققا والعياذ بالله .

(٤) نقلت فى منتصف سنة ١٩٤٠ من وزارة المالية إلى مصلحة الضرائب ، وكان فى نقلى بعض التحدى فزرت سيدى الأستاذ وكان لا يزال مأمورا لدائرة طوسون باشا بشبرا فسالنى عن حالى فأخبرته بنقلى إلى مصلحة الضرائب فأقسم لى فى تأكيد أنهم سيحتاجون إلى فى الوزارة ويضطرون لإعادتى وكرر

رضى الله عنه القسم ، وفعلا تم ذلك وأعادونى إلى الوزارة بعد إلحاح علىّ فى أوائل سنة ١٩٤١ وقدموا لى كل ترضية .

(٥) وعند ما اشتدت الغارات وتوالت على الإسكندرية ومصر ونصحت الحكومة بالهجرة إلى الريف قال سيدى لإخواننا أنا لا أمنع أحدا عن الهجرة ولكنى سوف لا أهاجر وكان رضى الله عنه فى منتهى الاطمئنان . ولما تقدم رومل إلى العلمين قلت له: لقد بلغت القلوب الحناجر ، فقال إن بعض الناس كان عندى وأخبرنى أنه رأى فى المنام أن الألمان دخلوا مصر وصار الناس فى هرج ومرج وذعروا وأخذوا يهيمون فى الشوارع على وجوههم ثم نظر إلىّ وابتسم وقال بالعامية « إِيَّادِهِ هَا يَحْصِلْ لَوَالله » . وقد كان من أثر اطمئنان سيدى الأستاذ أن الإخوان اطمأنوا ولم يداخلهم من فزع الغارات الرعب الذى داخل غيرهم حتى كشف الله الغمة عن الوطن العزيز .

(٦) قدم والدى طلبا للحج بالدرجة الأولى أو الثانية فى سنة ١٩٤٣ فلم يقبل طلبه إذ كان التزاما شديدا على الدرجتين

الأولى والثانية والأماكن محدودة فاستاء والذى لذلك كثيرا
وكنت يوم أن رفض الطالب أزور سيدى الأستاذ فسألنى ماذا
فعل والدك فى طلب الحج؟ فقلت رفض طلبه واستاء لذلك كثيرا
فأطرق رضى الله عنه وقال ولكنى أنا أقول إنه سيسافر
فاستبشرت وقلت لسيدى الحمد لله فاستطرد حضرته قائلا إنه
سيبذل مسعى وسينجح المسعى، وفعلا حدث أن جاء والذى من
الصعيد وبذل مسعاه فى وزارة الداخلية وصرح له بالسفر بعد أن
كان الأمل معدوما بينما رفضت طلبات أخرى بذل أصحابها
فيها أكبر المساعى من ذوى الجاه .

(٧) كنت مرشحا للدرجة الرابعة وقدمونى على غيرى
استنادا إلى مبدأ الكفاءة ولم يكن قد مضى علىّ فى الدرجة
الخامسة سوى المدة التى تجيز الترقية ، ولما عرض الأمر على الوزير
رأى أن يؤخذ فى الترقية بمبدأ الأقدمية المطلقة فتقدمنى الأقدمون
فسألنى أستاذى رضى الله عنه يوما عما تم فى المسألة فأخبرته الخبر
فأشار لى رضى الله عنه بأن الوزير سيتغير مع أنه كان ثابت

القدم وكانت الوزارة راسخة بسبب ظروف الحرب ، فما مضت أيام حتى نقل هذا الوزير إلى جهة أخرى وتمت لى الترقية على يد الوزير الجديد دون معرفة أو وساطة .

(٨) طاب لى أن أأزم سيدى الأستاذ فى منزله الرحيب

أياما ، ومن عجب أنى أقمت معه شهرين فما خطر ببالى شىء فى هذه المدة الطويلة إلا حققه من تلقاء نفسه حتى إنى كنت أجد على مائدته ظهرا ما كان يخطر ببالى صباحا وكان يدارى كراماته ، رضى الله عنه فى كل مرة ويقول صادفنى هذا الصنف فاستحسنته فأحضرته ، وكانت نفسى لا تشتهى شيئا إلا أمر الخادم بأعداده عند وقوعه فى نفسى توًّا .

(٩) وكم حدثنى سيدى رضى الله عنه بأشياء كثيرة كانت

مخبوءة فى قرارة نفسى ولم أطلع عليها أحدا وأرشدنى بما يراه فيها فجزاه الله عنى وعن جميع الإخوان خيرا كثيرا .

(ط) مرأييم :

يضيق هذا الكتيب عن ذكر المراثى ، ولقد أنشدنا شاديننا

النورانى فضيلة الأخ الشيخ على عقل القصيدة التالية بمناسبة

الذكرى الأولى لوفاته فنقتصر عليها وقد قال لى أستاذى رضى الله
عنه مرة الشيخ على يا فلان من أساطين الطريق :

الحمد لله بالإيمان يهديننا وبالحبسة يرضينا ويعطينا
هدى إلى الحق أقواما وميزهم بالحلم عاشوا وهم بالله راضونا
قوم خلوا بجلال الله واتهجوا نهجاً من الصدق كانوا فيه وافينا
ثم اختفوا عن عيون الناس وابتهلوا

الله واجتهدوا فى الله هاديننا
وأدرکوا أن نور الله مركزه قلوب قوم لوجه الله ساعينا
حتى إذا ما أراد الله يظهرهم ويعلم الحق فيهم مستفيضينا
ساروا على الهدى والرحمن يكلؤهم

بفيضه وهو فيهم مريدونا
أعلامهم فى سماء المجد قد نشرت ومكنت من قلوب الناس تمكيننا
والله علمهم بالشرع فهمهم فسددوا وأقاموها براهينا
وعاهدوا الناس فى سرورى علم أن يلزموا الحق والقرآن والدينا
من كل سلسلة فى الله سائرة لا تتغنى غير وجه الله تبيننا

منهم شيوخ أعز الله قوتهم
فأحمد البدوى الحبر سيدنا
له مناقب لا تحصى لكثرتها
أقام لله صرحا من دعائه
أتباعه ملأت كل البلاد هدى
وجاء من بعده البيومى سيدنا
سلطان أهل التقى فى عصره وله
وبعده غفلت أهل الطريق لما

أتى على الناس أمسى الكل مفتونا
آياته بعد إخفاء توألينا
أعطاه مولاه علما ثابتا فينا
محمد من لوجه الله داعينا
مصرف سيد بالحق ينجيننا
فبين العلم والإيمان والدينا
للسالكين وكم أحياء يريدنا
فكان بالفيض والإلهام آيتنا
أراد ربك يحيى القوم فانبعث
أتى مجددهم يحيى الطريق ومن
أبو خليل أعز الله سيرته
شهم أشم قوى الجأش ذوهم
أعطاه مولاه نورا لا حدود له
فكان بالفيض والإلهام آيتنا

وكان سلطان أهل الذكر أجمعهم

أولاده بقيام الليل راضونا
وكم له خلفاء قال قائلهم : إلى هنا تنتهي روح المجدينا
أجلهم منزلا أعلامهم ثفة أرضاهم خلقا أزكا هم ديننا
أحلامهم منطلقا أقواهم هما أوفاهم كرما لا يقبل الهونا
مؤدب ما رأينا في مجالسه إلا الكمال، وسهل إذ يناجينا
عبد السلام وزكى الله تربته

بالطيب والمسك وازدانت رياحينا
قد كان والله بالرحمن معتصما وكان والله يسترضى المساكينا
وكان للفقراء الردء يحفظهم فلا يضيعون بل منه محاطونا
وكان كنزا هنيا لا حدود له شهما زكيا جليل القدر هادينا
أقسمت من كان عن جدٍ يعاشره لم ينسه أبدا بين الحمينا
أخلاقه في حدود الدين قدر سمت وكان في سنة المختار مأمونا
وكان ينطق عن علم وعن حكم يزجى لنا لؤلؤا بالفيض موزونا
حدث عنه ولم أكذب وما قدرت

روحي تقدره بين المجدينا

يكفيه فضلا بأن الله سخره
لناس يحبيهم ديننا ويحسينا
أقام فينا ولم يبع الظهور ولم
يرد مدائح منا حيث يوصينا
وكان يغضبه مدح العباد له
خوفا من الله حتى عاش مكنونا
تحمل الناس في كل الظروف فلم
يفه بنقص ولم يغضب مريدنا
وسامح السكل في سرّ وفي علن
فما رأيناه وقت الغيظ محزوننا
وعاش فينا سني فضل وتكرمة
حتى وقت سنه بضعا وسبعينا
وقابل الله موفور الكرامة في
ذى القعدة المرتضى عزاء وتمكيننا
يارحمة الله صبي الغيث واكتنفي
ضريحه رفعة بين المناضينا
إن مات جسمك إن الموت يكتبه
ربى على كل مخلوق يرى فينا
لا زال ذكرك حيا لا يموت إلى
يوم القيامة والبارى يناديننا
أن أقبلوا تحشروا في خير منزلة
مع النبي شفيع الخلق منجينا
وكلنا في رياض الحق يجمعنا
رب السماء وبالإسعاد يعطينا
تاريخه لأولى الأبواب نكتبه
عبد السلام بفضل الحق حاديننا

كلمتي الختامية

أى أستاذى الجليل :

سلام عليك من قلبى الذى ألقىت به إليك فتعهدته بحمكتك
العالية فى السر والعلانية ، ولو أنك كنت تعالجه من داء ظاهر
لهان الأمر ، ولكنك نفذت إلى علله الباطنة تستقصيها وتداويها ،
وما أكثرها فى مثل قلبى ! ولست أدري بأى لسان أشكر الله
الذى أرسل لى الدواء على يديك ، فلان القلب بعد قسوة ، وذكر
الله بعد غفلة .

أقول هذا تحدثنا بالنعمة وإشادة بما كان لك من فضل على
وعلى الناس :

كم من يد بيضاء قد أسديتها تشنى إليك عنان كل وداد
شكر الإله صنائعا أوليتها سلكت مع الأرواح فى الأجساد
أما ما كنت فيه أنت من فضل فقد أشرت إلى بعضه ،
ولا أدعى أنى وصلت إلى عده ، وحسبى أن يكون ما قلت كإشارة

الإصبع إلى النجم في سماه فيهدى بك من أراد أن يتخذ
إلى ربه سبيلا .

وأقسم لقد اجتمعت بكثير من ذوى الصلاح والفضل ،
فما رأيت فيهم أحدا يوازيك أو يدانيك . وأقسم ما وجدت
صفة محمودة في القرآن إلا وجدت بها بارزة فيك ، فالعلم والحلم والصبر
والكرم ، والإقدام ، والشمم ، والتسامح ، والوفاء ، والتواضع ،
والصفاء ، والتعفف ، والسخاء ، كل هذه كانت من صفاتك
الغراء إلى جانب ما حبك الله به من إيمان فذِّ بالله وثقة تامة فيه ،
واعتماد كليٍّ عليه ، واتجاه دائم إليه .

وأشهد بالله ما وجدتك شاكيا من الدنيا مرة على طول
عشرتي لك ، بل كنت دائما كما عهدتك الراضى الشاكر .
وأشهد بالله ما وجدتك جازعا من مصيبة ولا متبرعا من
مكروه ، ولا أنسى ما قلته لى حين مات نجل أخينا المبارك الشيخ
على عقل فحدثت لك صبره الجميل « أنا والشيخ على تأتينا
المصائب فلا نبرح مكاننا » كما لا أنسى صبرك الرائع على الأمراض

الكثيرة والشديدة التي ابتليت بها في سنواتك الأخيرة ، والتي لم تدع شهرا في جسمك إلا أصابته ، ذلك الصبر العجيب الذي أدهش الأطباء أنفسهم حتى قال لنا واحد منهم هذا رجل عجيب لأنه صابر على ألم لا يطيقه عشرة رجال . ولا زلت يا سيدي أذكر عبارتك الحلوة الأخاذة التي قلتها لي وأنا إلى جوار سريرك وكنت قد أجريت العملية السادسة في إنسان عينك حين أطرقت قليلا ورفعت وجهك وخاطبتني صابرا محتسبا « له الملك وله الحمد عطف سبحانه الحمد على الملك والملك يشمل الخير والشر إشارة منه إلى أنه يجب أن يحمى في الخير والشر على السواء » ولا زلت أذكر كذلك وصيتك لبعض الإخوان « واعلم أن الصبر على الصبر هو الصبر » .

وأذكر يا سيدي أنك كنت تنكر ذاتك وتحاول أن تخفيها فلا يزيد الله بهذا إلا رفعة وظهورا رحمة منه بعباده ، لأن الاتصال بمثلك رزق يسوقه الله للمؤمنين . فكم هدى بك إلى الرشد وكم زاد بك اليقين .

إن كنت تكبر أن تختال في بشر فإن قدرك في الأقدار يختال
كان نفسك لا ترضاك صاحبها إلا وأنت على المفضل مفضل
أما فطنتك الكبيرة وأحاسيسك الرقيقة فما زالت موضع
الإعجاب منا ، إذ لم تنقص الشيخوخة والأمراض منها شيئاً ، وهل
لفطنتك من شاهد أبلغ من أنك بقيت سنوات تدبر أمر الدين
والدنيا معاً ، وتشير على الإخوان بما ترى وأنت على فراش المرض ؟
وإن ننس فلا ننسى ذلك القانون الذي ربطت به بين الإخوان
قبل أن تبارح الدنيا بشهور ثلاثة ، وكأنك كنت تعترم الرحيل
فتركت لبنيك الوصية وأشرفت بنفسك على اختيار اللجان ،
ودافعت عن الوصية بالقلم واللسان والجنان ، حتى استقرت على
تقوى الله وعلى مبدأ الشورى بين الإخوان ، فما أبرك الوصية
وما أبر الإخوان . وها هي ذى روحك الطاهرة تخالط أرواحنا
فاستخبرها الحال وأحفظها السؤال .

ولقد انتهت بنا الشورى يا سيدى إلى اختيار ابنك المبارك

السيد أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواتي لحمل لواء الإخوان ،
فجمعنا الله به على الهدى ببركة رضاك عنه وعنا .

إنما المجد ما بنى والد الصدق وأحيا فعاله المولود
وها هو يمضي بالطريق قدما إلى الأمام ، ونحن جميعا على أثره
والسلام على سيدي الأستاذ في عليين ، والحمد لله رب العالمين .

ابنك

حسن كامل المطاوي

وقد جاءنا رسائل كثيرة من الإخوان لانستطيع نشرها كلها
ولكننا ننشر شيئاً منها .
وإليك كلمة الأستاذ خالد عبد المجيد الشباصي المدرس بالمدارس
الأميرية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه
ومن والاه .

وبعد : فإني لم أعلم بأن إخواني « جماعة الإخوان الخليلية »
يقومون بطبع كتاب : « المربي في السيرة الحلوانية » إلا والكتاب
ماثل للطبع ، فأحببت ألا أحرّم شرف الكتابة في هذه السيرة
الطاهرة النقية ، فكتبت هذه العجالة التي لا تطفى غلة ، ولكنها
رمز الحب والإخلاص والتقدير لحضرة سيدي وأستاذي صاحب
السيرة الشريفة .

ولئن كتبت « وفي الوقت متسع » لما كفتني مجلدات ،

ولكن الوقت ضيق ، والوقت لايسمح بالسبح فى هذا المحيط الخضم .

ومن أجل هذا سوف لا أتحدث عن كيفية اتصالى بأستاذى وعن نسبه الطاهر ، وعترته الطيبة ، وعن أخلاقه السامية ، وصفاته العالية ، وعن جهاده وتضحياته فى سبيل الله ، وعن علمه وأدبه وكتبه ، وعن أذكاره وأوراده ، وعن كراماته العامة ، وعن نالتهم نفحاته ، وعتمهم خيراته ، وعن معاملته للأبناء فى الله ، وتريبته لأرواحهم ، وحده عليهم ، وعن مدده الروحى على القرب والبعد ، إلى غير ذلك ؛ فكل موضوع من هذه الموضوعات يحتاج إلى كتاب .

بل إنى سأكتب عن ناحية واحدة روحية تتصل بشخصى الضعيف ، ولا يعلمها إلا ربى وأنا أو من كان معى ، وسأوجز فيها غاية الإيجاز فاسمع يارعاك الله !:

(١) سافرت إلى القاهرة ، وصحبتى أخى الأستاذ « محمد

أفندى على السيد نصار » المدرس بمدرسة المعلمين الأولية

بيني سويف الآن ، وكانت لى مسألة هامة ، وله مسألة هامة ،
ودعت ظروف السعى والتنقل إلى أن قصدنا حى العباسية ، ولما
أردنا أن نعود إلى حيث ابتدأنا .

قلت لأخى نصار : ألا أدلك على خير عظيم ؟

قال : بلى .

قلت : تزور معى أستاذى ومربى روى « السيد أحمد
عبد السلام الحلوانى بشبرا » .

قال : إني لا أعرفه ذاتا ، ولكنى أسمع به ولا أود أن أزور
من لا أعرفه :

قلت : فزره من أجلى .

قال : ولا من أجلك ؛ لأن زيارتى إياه معك نوع من
التطفل ، والتطفل يزرى بالكرامة ، والكرامة فوق الصداقة
قلت : فزره لله !

قال : حبا وكرامة .

امتطينا الترام ، وودت لو يكون الترام طائرة ، بل لو كان

الترام يدري ما بي من شوق لكان طائرة . بل لور كبت قلبي
الخافق شوقا للقاء أستاذي لكان أسرع من الطائرة . وما كدنا
نستضيء بنور أستاذي ، حتى بادرنا أستاذي قبل أن نحياه قائلًا:
« ما دامت الزيارة لله ، فحاجة كما بإذن الله مقضية » .

وهنا أدع للقارئ ، أن يصور موقفى وموقف أخى نصار ،
فإنه لا يستطيع أن يصوره بيان .

(٢) كان يعتزنى مرض ذات الجنب ، ومكث يعاودنى
أربع سنوات ، ذقت فيها العذاب ألوانًا ، وذهبت إلى نطس
الأطباء ، وتعاطيت كثيرًا من الدواء ، ولم أحصل على الشفاء ؛
فسافرت إلى القاهرة ، وشرفت بزيارة أستاذي ، وأنا بحال من
الأم يطير لها ضوء الصباح ، ولم أبح بما بي لأستاذي ولا لغيره ؛
وجلست ليلا فى حلقة الذكر جلسة غير معتادة ، وإذا بأستاذي
رضى الله عنه يضع سبابته الكريمة على موضع الداء من كليتي
ويديرنى بإصبعه قائلًا : اجلس معتدلًا فى حلقة الذكر فسكر
كل ألم ، وكدت أحلق فى أجواء السماء بجناحين من السرور .

ومضى يوم أو يومان ، وقد لفظت كليتي حصاة في حجم الزيتون
مسننة كأسنان المنشار ، ويعلم ربي أنني تعاطيت دواء لم يكن
من وصف طبيب ، ولا يزيد ثمنه على المليم الواحد ، ولا يبلغ وزنه
وحجمه ربع السمسم ، وصوره بعد ذلك ما شئت أن تصوره .
وما إن أَرَيْتُ الطبيب هذه الحصاة ، وشرحت له ما جرى
حتى قال :

لقد عمل الله لك عملية جراحية بدون بنج ولا سلاح ،
ولأجل أن تتصور مقدار هذه العملية ، ومقدار فضل الله عليك
يجب أن تعلم أن هذه الحصاة تقتل جملا .

(٣) تملكني الوسواس في الوضوء والغسل والصلاة وأنا
طالب في شرح الشباب ، واستبد بي على الرغم من إحاطتي التامة
بكل أحكام الطهارة والنجاسة ، ولازمني في الكبر ، وحاولت
التغلب عليه فلم أستطع ، بل ضعفت إرادتي ضعفا لا يقاوم ،
وكان الوضوء والغسل والصلاة عذابا لا عبادة ؛ فضقت ذرعا
بأمرى ، واتصلت بكثير من العلماء ، فزاد اضطرابي ، ولم أقو على
مدافعة الوسواس .

فسافرت إلى القاهرة ، وعثرت على كتاب الفقه على المذاهب الأربعة وذهبت إلى زيارة أستاذي ، ولم أطلععه على حالي ولا على ما بي ، فما إن سلمت عليه حتى قال : ما بيدك ؟ قلت : « الفقه على المذاهب الأربعة » .

فأقسم إنه فتح ذلك الكتاب فإذا « كتاب الأنجاس » فقرأ سطرًا واحدًا ، بصوت مرتفع ، وأغلق الكتاب وناولته إياي . واستأذنته في السفر فأذن ، ولم ينقض الأسبوع حتى ذهب الوسواس إلى غير رجعة ؛ وصرت من ذلك الحين طبيب الموسوسين ولم أزل .

(٤) تقدمت أنا وأخي الأستاذ نصار إلى امتحان المسابقة للمدارس الثانوية ، واعتدنا أن نزور كل ليلة حضرة مولانا الحسين رضي الله عنه للتبرك ، ومضت أيام الامتحان الأولى على ما يرام ؛ وفي ليلة ما ، عرضت على أخي نصار أن نزور أستاذنا بشبرا .

فقال : كيف ندع زيارة مولانا الحسين ، ونزور أستاذنا والوقت لا يسمح بالزيارتين ؟

قلت : أأست الآن ابن طريق ؟

قال : بلى .

قلت : إن من آداب الطريق ، أن تزور أستاذك في العهد
قبل أن تزور وليا من الأولياء فهو باب الزيارة فهيا بنا
نحسن الأدب .

تشرفنا بزيارة أستاذنا وبيدي كتاب ، فسألني رضوان الله
عليه : ما بيدك ؟ قلت : ديوان الحماسة .

قال : أخرج أى صفحة واقراً فيها ؛ فوجدت شعرا عاهرا
فأخرجت صفحة أخرى ؛ قال : لم غيرت الصفحة ؟

قلت : وجدت شعرا فاجرا .

قال : ولم لم تقرأ ؟

قلت : حياء .

قال : لا عليك ! اقرأ ما تجد .

فقراءت . ثم تناول الكتاب بيده الكريمة ، وقرأ سطرا
وأغلق الكتاب .

وفي الغد : جاء الامتحان أقسى ما يكون . وحرت وحرار
أخى نصار، وخرجنا ساخطين على الامتحان ، وواضع الامتحان
وعن الإجابة في الامتحان .

وقال أخى نصار : آرضاك العمل بآداب الطريق ، أنحرم
زيارة مولانا الحسين عملا بآداب الطريق ، وكانت زوبعة في
فنجانة انقلبت سرورا ، ثم كانت درجاتنا في يوم الثورة بعد
ظهور النتيجة أعلى درجات المواد .

(٥) زرت أنا وأخى نصار أستاذنا بشبرا ؛ وبيننا نستمتع
بحديثه العذب ، وصوته المشجى ، عبث الشيطان بنفسى وأنسانى
كرامات أستاذى .

فقلت فى نفسى : ما لأستاذى اليوم لاتظهر على يديه
خوارق للعادات عامة ، كالتى كانت تظهر على يديه فى شرح
الشباب ، وكالتى كنا نسمع بها من أنه وجد فى بلدين متباعدين
فى حلقتى ذكر فى وقت واحد ، وشهد بذلك العدول والصادقون
من الإخوان ؟

وإذا بأستاذي يقول على الفور : يا بني لقد كنت
في ريعان الفتوة أنادى الشخص باسمه وأنا لا أعرفه فيجيبني ،
ويكون اسمه كما ناديته .

ولقد كنت أرى بيوت أبنائي في الطريق على ما هي عليه
من بناء وأثاث ، وما هي فيه من شوارع وحارات ، فإذا دعوني
للزيارة وليت الدعوة أنبأتهم أني دخلت هذا البيت من قبل
هذه المرة ؛ فيحلفون بالله إنني ما دخلته إلا هذه المرة ، والبيت
هو البيت الذي رأيته والأثاث هو الأثاث والشارع هو الشارع
والحارة هي الحارة .

واليوم يا بني لا أرى شيئا من ذلك ؛ بل إنني أسأل
الشخص عن اسمه فيذكره لي ، وبعد مدة أسأله مرة ثانية وثالثة
ورابعة ، ولا أدري لذلك من سبب .

فأسقط في يدي ، وأدركت على الفور خطئي ، وقلت :
يا عمي إن ما حصل منك سابقا لا داعي له الآن ، وأكفنت

في نفسى أنه الآن في مقام أكبر من ذلك ، وأن ما نراه منه ومن أحواله أجلّ بكثير مما كنا نسمع عنه .

فضحك رضوان الله عليه ضحكات عالية متواصلة لم أسمعها في حياتى ضحك مثلها .

وقلت لأخى نصار :

أتدرى لم ذكر أستاذنا ما ذكر من غير مناسبة ونحن في حضرته ؟

قال : كلا .

فذكرت له ما دار بنفسى ، وأن ضحك أستاذى هو لحسن تخلصى من المأزق الحرج الذى وقعت فيه .

فقال أخى نصار : ما أخبت شيطانك « إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا » وإن رد أستاذنا عليك لمن أكبر الكرامات .

(٦) كانت عندى أزمة نفسية شديدة تكاد تمزق صدرى ،

ولقد طال عليها العهد فشكوت ما بى إلى أخى الأستاذ الشيخ عبد المنعم جمال الدين وكنا بطنطا وكان معنا أستاذنا ، فقال الأخ :

أشرح أمرك إلى أستاذنا ينصرف كل شىء بإذن الله ، فلقد اعتمدنا
إذا حز بنا أمر أن نذكره له ، فكان الفرج يأتى بإذن الله سريعاً .
ومكثت مع أستاذى بقية النهار وأكثر الليل وقابلته
فى الصباح ولم يكلمنى كلمة واحدة ، وأنا خجل أن أذكر له ما بى ،
وتركته رضوان الله عليه فى الحجرة وذهبت لأتوضأ ، فتردد
فى نفسى وأنا أتوضأ باعثن : باعث يدفعنى إلى أن أشكو بى
وحزنى إلى أستاذى ؛ وباعث يمنعنى قائلاً : إن أستاذك مثقل
بالبلاء فلا ترده بلاء على بلاء ، وإذا كان الله ابتلاك بما أنت فيه
فاصبر على هذا البلاء حتى يذهب الله عنك البأس .

وانتصر الباعث الأخير ، وأقسمت بينى وبين نفسى أنى
لا أبث إلى أستاذى شيئاً حناناً عليه ورضى بالقضاء ، وما إن
دخلت حجرة أستاذى حتى قال لى « أهلاً بالشيخ خالد الظريف »
فهأنى إخوانى بهذا اللقب الظريف ونظروا إلى نظرة العجب ؛
لأنهم لا يرون سبباً لهذا اللقاء الجميل ، ولا لهذا اللقب الظريف .

ولم أبح بشيء بعد ذلك إلا لأستاذي الأول حضرة عمي الجليل
« السيد عبد المنعم الحلواني » .

فقال: لقد كنت ظريفا حقا في عملك ، وفي ثباتك ، وردك
على نفسك ، وأهنيك بزوال ما عندك .

وقد ذهبت هذه الحالة النفسية التي ضايقتني أياما وأعواما ،
وبعد : فهذا قلٌّ من كُثْرٍ وَغَيْضٌ من فَيْضٍ ؛ ولولا ضيق
المقام لذكرت الكثير .

ولعلك أدركت مما ذكرت :

أن أستاذي كان طبيب الأرواح ، وكان يداوى كل حالة
بما يناسبها من الدواء ، وكان دواؤه سريع الشفاء .

وأنه كان رضوان الله عليه ، يقرأ خواطر أبنائه في الله
ويحس إحساسهم ، ويشعر بالآلام وهي آلامه ، ويحنو عليهم
حنو المرضعات على الفطيم ، ويحبهم كحب الأبناء من الأصلاب ،
بل كان أشد حبا لهم ، إذ هو القائل :

« ابن الطريق أغلى من الابن الشقيق » .

ولقد كان رضوان الله عليه له الجاه العظيم عند ربه ، فعاش
عزيزاً ، وقابل ربه تقياً نقياً صفيهاً حبيباً .

وما ذكرته لك هو الذى يتناسب مع شخصى الضعيف ،
ومركزى فى الطريق ، وإلا فإن له مع كبار الرجال حالات فوق
هذه الحالات بكثير ، ولكل دولة رجال .

فاللهم أفض عليه من سحائب جودك ورحمتك ، وفيضك
وحنانك ما به ترضى روحه العالية ، واجزه عنا خير الجزاء ،
وانفعنا ببركاته ونفحاته فى الدنيا والآخرة ، وسلام الله
ورحمته وبركاته عليك أستاذى فى أعلى جنات الخلد ، ما تنفس
صبح ، وبزغ نجم ، وبقي عرش الله .

فأله عبد المحميد السباصى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادى إلى التى هى أقوم ، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد الرسول الأكرم ، وعلى آله وأصحابه أهل اليقين ،
ومن اهتدى بهديهم ، وقام على طريقهم إلى يوم الدين .

وبعد ، فإني لست أنسى رجلا من أكمل الرجال ، ثبتنى
من اضطراب وهدانى من ضلال ، فنفى عنى شوائب الحيرة ،
وأهدى إلى قلبى نور الإيمان ، فكان - بحمده تعالى - سبب
نجاتى إن شاء الله . شكر الله له صنيعه ، ورفعته إلى مراتب
المقرّين .

ذلك هو شيخى وأستاذى السيد « عبد السلام الحلوانى »
رحمه الله رحمة واسعة ، كفء ماهدى لدينه وجاهد فى سبيله . وأشهد
بالله ما لقيت رجلا من أسرة الحلوانى - تلك الدوحة الطاهرة
المباركة - إلا عرفت فيه حسن السيرة ، وطيب الخلق ،
وكرم العنصر ، وقوة الإيمان ؛ فهم أهل تقوى ونقاء ، وكرم
ووفاء .

وأكلهم وأقواهم تأثيراً - فيمن عرفت - هو السيد عبد السلام .
لقد كان عذب الروح ، جميل اللقاء ، أنيس المجلس ، حلو
الحديث ، قليل الكلام ، كثير الصمت ؛ فإذا تكلم بذّ القائلين .
كان يربى الأرواح بالطف ما يكون من الرفق وحسن التدرّج ،
فلا يلتوى به القصد ، ولا يصعب عليه المرام . تجلس إليه فيقبل
عليك بوجهه وبروحه ، فتنجذب إليه ، وتأنس به ، وتستقي
من هديه ، وتقتبس من نوره ، ويعز عليك فراقه ، فتود أن تبقى
معه على الدوام . ولكن جليسه يشعر له - مع عذوبة روحه -
بمهابة تغشى النفوس ، وجلال يأخذ بمجامع القلوب .

فكان - رفع الله درجته - يهدي الحائرين ، ويرشد
الضالين ، بحديثه الذي استوفى حظه من إقناع العقول واستمالة
القلوب ، وبنظرته المؤدّبة ذات التأثير العجيب ، وبنور الإخلاص
الذي يشعُّ من جبينه ، وتكاد تلمسه في نبرات صوته ، وبالتقوّة
الحسنة في أفعاله ، وبحسن السمّت في جميع أحواله .

لا يغضب ، ولا يصخب ، ولا يضحج ، ولا يعتب ؛ بل هو بطل واسع

الصدر ، كثير الاحتمال ، وأقوى ما كان ذلك في مرض موته ،
فقد كان يحدث عواده ويؤنسهم ، حتى لقد ينسون أن مرض
محدثهم تنوء به الجبال الراسيات ؛ ومن ذلك تدرك مبلغ ما أنفق
من ماله ومن أعصابه ، ومن ذات نفسه في ذات الله ، مع حسن
الصبر وجميل الاحتساب .

وكنت ترى حوله الأبطال من كلمة الرجال : أمثال السيد
عبد المنعم الحلواني ، والشيخ على عقل ، والشيخ محمد حواس ،
والسيد حسن كامل ، وحسن أفندي العناني - ولكل منهم
نوره الوضاء ، ومزيتة الباهرة - فتغيب عنك أنوارهم ، وتخفى
مزاياهم .

ومن أوضح مزاياه في الدين :

(١) أن مجلسه كان حافلا بالمسائل الدينية والصوفية ، فإذا
جد الجد أورد النص المؤيد لرأيه من الكتاب أو السنة ، كأنما
كان على طرف لسانه ؛ فترى الشاهد حاضرا مسعفا في الوقت
الملائم ، مع أنه ليس من أهل الحفظ والرواية المتفرغين لها .

(٢) وأنه كان يجب العمل ويراها حيلة الرجل، ويكره التعطل والبطالة؛ ويسعى ما استطاع في تدبير العمل المناسب لمن أدركه تعطل في بعض الأيام.

ولا أزال أذكر بالفضل، وعظيم الشكر حضرة الشيخ محمد نور الدين الخياط بيور سعيد، فهو صاحب اليد البيضاء، في وصولي إلى هذا الشيخ الجليل، الذي له أعمق الأثر في حياتي؛ فقد أصابتنى نازلة شديدة، غشيتني بسببها يأس عنيف، كاد يهلك نفسي، ويزعزع إيماني؛ فكان من فضل الله عليَّ أن هداني على يد هذا السيد الكامل؛ فتناول نفسي برفق وصبر عجيب، وما زال بها حتى استقادت وزال نفارها، واستقامت على الطريقة، وأشرق عليها نور الحقيقة.

فجزاه الله عنى وعن أمثالى خير ما يجزى عباده الصالحين، ورضى الله عنه وعن شيخنا الجليل الحاج «محمد أبى خليل» وحشرنا فى زمرة المفلحين تحت لواء سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما عبده عابد وهدى إلى طريقه أحد الهداة.

المتولى قاسم

المدرس بالمدارس الثانوية

دمياط الأميرية

عزيزى وأخى الفاضل حسن بك كامل المطاوى .
السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأت كتابك «المرجى»
وأنعم به من كتاب ، صدر من قلب شرح الله سواد عينه للإسلام ،
وكل ما فى الكتاب حق ؛ وهو وإن كان قطرة من بحر ، فيعطى
القارى صورة عن سيرة السلف وعن التصوف المراد عند أهله
« ويكفى من القلادة مايزين الجيد » .

وكنت أحب أن أكتب عليه تعليقات لشرح بعض مافيه ،
ولكنى رأيت أن لا يزيد عليه كلام سوى كلامك لتكون نقشاتك
صافية لا يشوبها نقشات غيرك ، فكتابة الإلهام ، سوى كتابة العلماء
فالأولى وارد الصدور ، والثانية خاصة بالسطور ، وشتان بين الحالتين .
ومن أراد أن يقتفى الأثر وتكون له الأسوة فليتبع مافيه ،
وليخرج من قلبه خافيه ، ليكون كتابك كرسالة الإمام القشيرى ،
وكل ما بعدها من التصوف مركب منها ومستقى من موردها .
فحسبك عملك هذا وأنه من الكتب القيمة التى ظهرت بعد انتقال
السيد المبارك الأستاذ الكامل الشيخ «عبد السلام الحلوانى» رحمه الله

برحمته الواسعة ؛ وأرجو الله تعالى أن ينفعني وإخواني بكتابك والسلام .

الأربعاء ١٢/١٢/١٣٦٥
١٩٤٦/١١/٦
عبد الرحيم ابراهيم السمودي
شيخ علماء الملايو وعميد كلية أصول الدين

أخي الجليل الأستاذ حسن كامل .

أنصح من لم يقرأ كتابك بالاطلاع على صفحة واحدة منه ،
وأنا موقن أن أوله سيدفعه إلى آخره ، وأن آخره سيشوقه إلى أوله ،
ولن يستطيع الفكك من أسر سحره إلا بأعجوبة ؛ عبارته سهلة
ممتعة ، ومعانيه شيقة متنوعة ، وموضوعه هو الوفاء بعينه .

اطلعت على كتابك بعين الأخوة لابعين الرضا ، وشتان
ما بين النظرتين ، فالرضا يغطي العيوب ، والأخوة تقتضي قول
الحق ، وترغم على الصراحة - وإن الناقد لأجدي على المؤلف
من المادح ، وبهذه العين وجدت كعهدي بك : حلو البيان ،
قوى التعبير ، يجتاز كلامك الأذان إلى الأفئدة فيستقر فيها ،
نخروجه من قلب صافٍ مخلص طاهر ، ولا نبعائه عن إيمان عميق .

وإن كل ما آخذ على كتابك هو الإيجاز كل الإيجاز ؛ فلقد
سعدت بمصاحبة من ترجمت له ؛ وعنه أخذت العهد ، وتقبلت مبادئ
الطريق ، وألمت بكثير من (إن لم يكن كل) عاداته ، ومذهبه ،
وطريق تعبده ، ومعاملته أتباعه ، وأنا وأشباهي لم نحظ بذلك ،
فكان من حقنا عليك ، أن تترك نفسك على سجيته من الإفاضة
والأ تكبح قلمك ، ولا تغل بيانك ، وأن ترسم لنا صورة صادقة
تجعلنا كأنما عاصرنا الشيخ (طيب الله ثراه) ، ونعمنا بلاقائه ،
ومتنعنا بالتلقى عنه .

ويظهر أنك ظننت أن قارئك يجارونك في الذكاء والفطنة ،
فعمدت إلى مبدأ « كل لبيب بالإشارة يفهم » أو أن الغلاء قاتله الله
(غلاء الورق والطبع) قد حال بينك وبين ما كنت تريد .
السيد عبد السلام الحلواني (على بساطة الشذرات التي وصلتني عنه)
لا يكتفي للتعريف به مجلدات ، فأرجو أن يكون كتابك هذائداً
لما سيتلوه من كتب ، فالحق أنا لفي ظماً شديداً ، ومن ذا ينقعه

ويصده إن لم تنبر أنت له ، ثم يقفوا ترك نظراؤك ممن أفاض الله عليهم نعمة الاطلاع ، وسيولة القلم ، وخفة الروح ، والوفاء الجم . وإن العصر الذي تنفت فيه المطابع قاتل سمومها ، لأحوج مايكون إلى إذاعة أخبار الصالحين ، ونشر سير المتصوفين ، تنفيذاً لقوله جل شأنه : « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » . كان الله في عونك ، وأكثر من أمثالك ، وجزاك عنا وعن الإسلام أحسن الجزاء .
أخوك

ذو الفقار مهرزاد

المدرس بالتربية النسوية للبنين بباب اللوق

فهرس

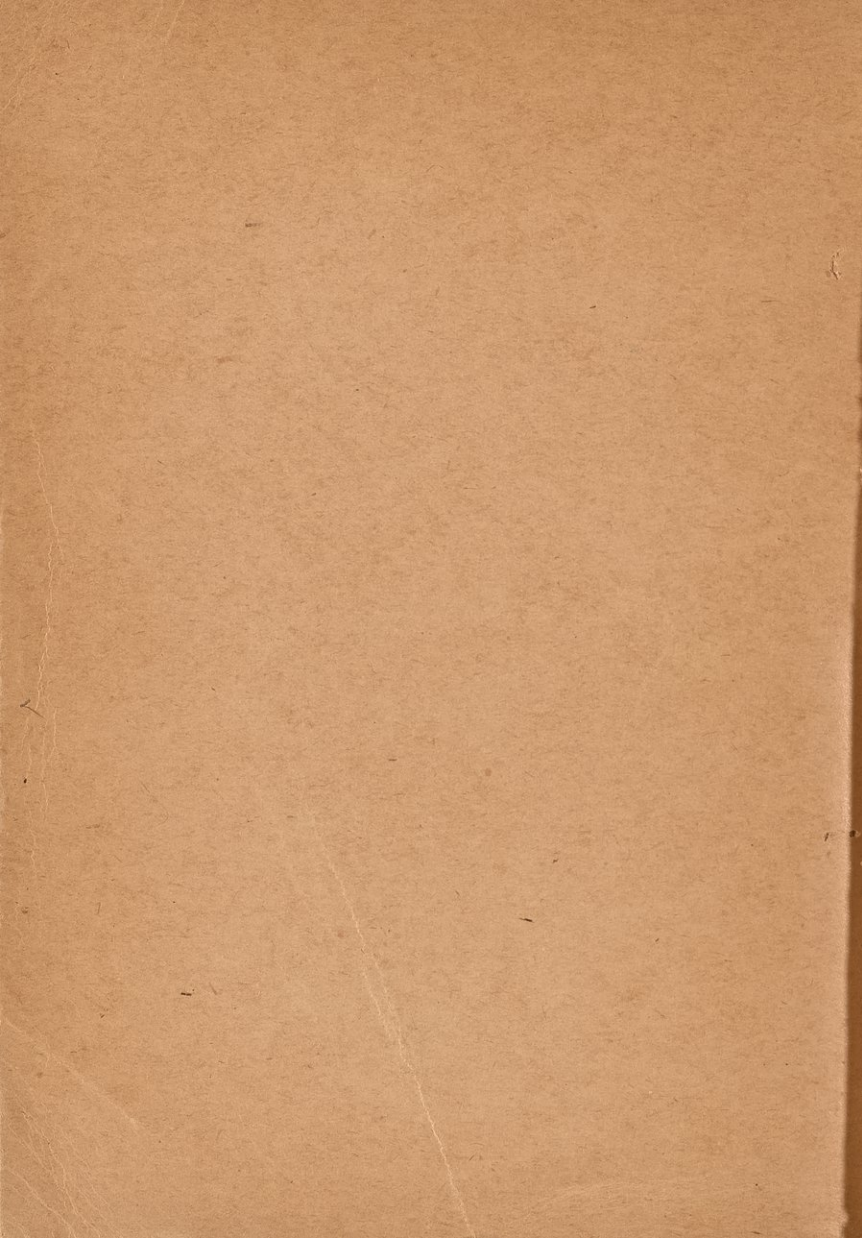
الموضوع	الصحفة
تقديم الكتاب	٣
مقدمة	١٥
١ — مامعنى الصوفية ومتى وكيف نشأت ؟	١٩
٢ — مم اشتق اسم الصوفية ؟	٢٢
٣ — ماهى غاية الصوفية ؟	٢٣
٤ — ماهى قواعد التصوف ؟	٢٤
٥ — سبيل الصوفية فى نشر مبادئهم	٣٨
(١) التواصى بالحق	٣٨
(ب) البيعة	
(ج) الصحبة	٤٠
(د) ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى	٤٨
٦ — كيف تختار أستاذك ؟	٥١
٧ — من هو أستاذى ؟	٥٤
(هـ) كيف اتصلت به ؟	٦٦
(و) شىء من وصفه وسجاياه	٧٣

- ٨٧ (ز) أسلوبه ورسائله
- ١١١ من كلامه رضى الله عنه فى الروح وتدرجها فى الترقى
- ١١٣ » » » فى النفس وتراجعها
- ١٢٦ مختارات من بعض ما كتب للإخوان
- ١٣٣ وصيته لوالده
- ١٣٤ وكتب لبعض أحبائه
- ١٣٧ رثاؤه رضى الله عنه لأحد تلاميذه
- ١٣٩ (ح) كراماته
- ١٤٣ مرآئيه
- ١٤٨ كلمة الأستاذ حسن اللطاوى الختامية
- ١٥٣ » الأستاذ خالد عبد المجيد الشباسبى
- ١٦٦ » المتولى قاسم
- ١٧٠ » فضيلة الأستاذ عبدالرحيم إبراهيم السمنودى
- شيخ علماء الملايو وعميد كلية أصول الدين
- ١٧١ كلمة الأستاذ ذوالفقار مهران
-

التصويب

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
كرمت نفسه	كرهت نفسه	١	٦
يأئبها	يأأئبها	١٠	٨
المناجاة	المفاجأة	١٥	٦٠
لاتنفذ	لاتنفذ	١٤	١٢٤

وإذا فات شيء بعد ذلك فإنه لا يخفى على اللبيب .



قريباً يظهر :

الايمان والروح

تأليف

أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني

بحث مستفيض ، وتحليل علمي ، وتصوير ديني للمدارج
الإيمانية ، وأحوال الروح في الحياة ، وبعد الممات ، والرد على
علماء تحضير الأرواح بالمنطق الواضح ، والبرهان الساطع مؤيداً
بالقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، يفتح لك أنوار
القدس الطاهر . . .

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072565383